



مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر.

الموضوع:

صورة المكان ودلالاتها في رواية " خطوة في الجسد "
لحسين علام

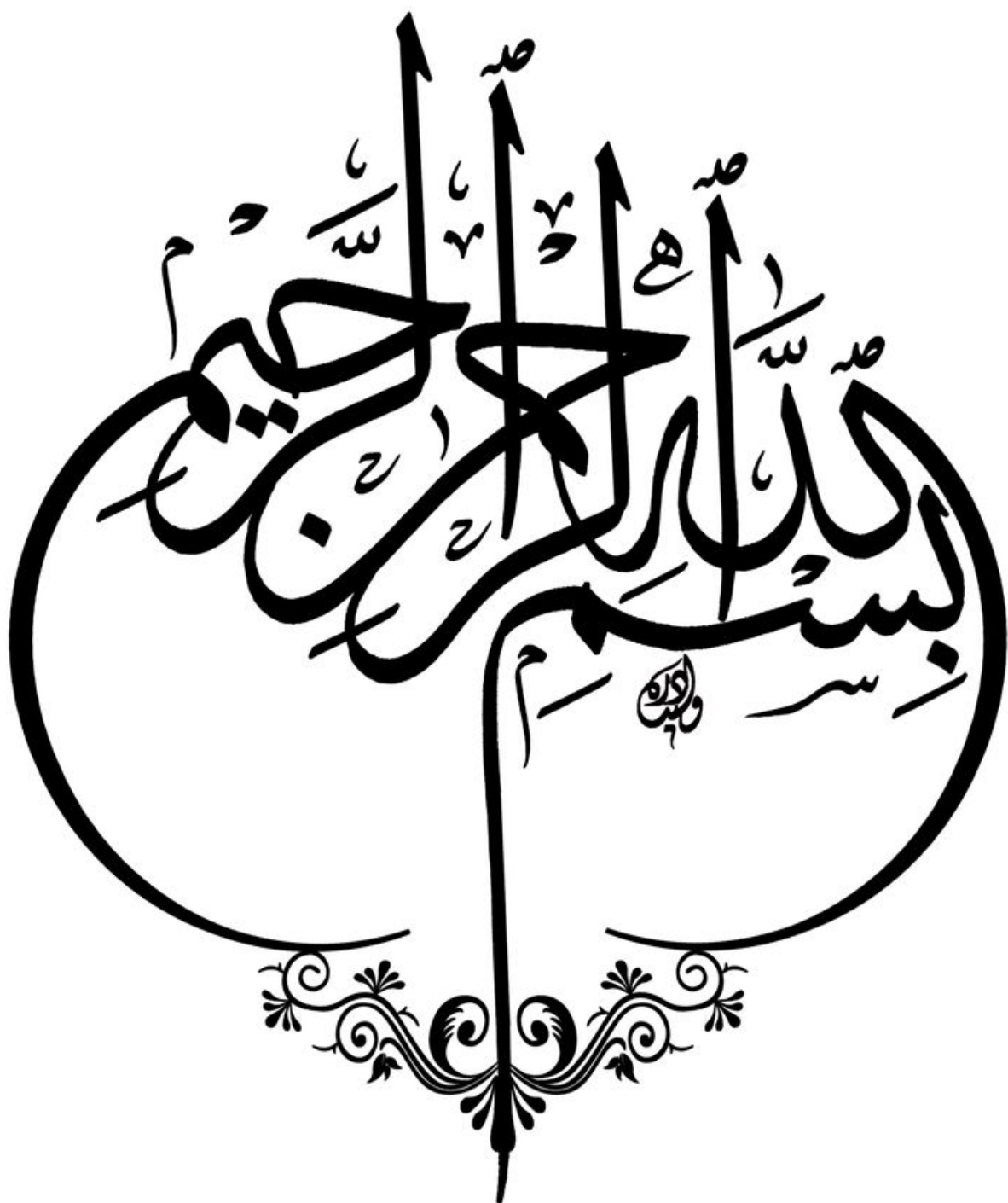
إشراف:
أ.د شريف بموسى عبد القادر .

إعداد الطالب (ة):
مامون إيمان .

لجنة المناقشة

رئيسا	زمري محمد	أ.الدكتور
ممتحنا	زدام حمديّة	الدكتورة
مشرفا مقرررا	شريف بموسى عبد القادر	أ.الدكتور

العام الجامعي: 1439- 1440 هـ / 2018 - 2019م



الإهداء

الحمد لله رب العالمين، الذي أحصى كل شيء عدداً وجعل لكل شيء
أمداً، له الحمد كما هو أهله ووليّه.

إلى كنزتي الحقيقي... أرق الألحان وأعذب الأنغام، من سهرت وربّت
وتعبت، من حاولت جاهدةً لإعانتني في الحياة، هي نبض فؤادي
والظل الذي أوي إليه في كل حين... إلى خاليتي أُمّي.

إلى قدوتي... من حمل قلبي على أكنف السعادة، ورسم ضحكة الصباح
على شفتي... إلى الذي أسقاني من حنانه وفيض عطائه حتى وقفت
على قدمي، فتاة يفرح لبهجتها الزمان، إلى أبي.

إلى اللواتي هن ينبوع العطاء، اللواتي وقفن بجانب وسدن خطاي،
حفظن الله لي... أخواتي.

إلى من لا نرتقي لقدرهم ومكانتهم في العطاء الفيّاض والمجد
والرفعة... إلى أستاذتي الأجزاء الذين شاركوني مسار خمس سنوات.

إلى من ينجحون في أعماقي مشاعراً، ويخلدون فيّ ذكري لا تمضي،
لي الفخر بحبهم والشرف بصحبتهم... إلى أصدقائي وصديقاتي.

إن جف حبري عن التعبير يكتبكم قلب به صفاء الحب تعبيراً، إليكم
أهدي عملي المتواضع هذا.



شکر و عرفان

في بادئ الأمر... فإنني أشكر الله عز وجل أولاً و آخراً على توفيقه
في دراستي هذه، فهو العلي العزيز أحق بالشكر والثناء. قال
سبحانه وتعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ أَشْكُرْ لِي وَلَا تَكْفُرُونَ"

البقرة/152

ثم أتقدم بالشكر والتقدير إلى المشرف الأستاذ الدكتور
"شريف بموسى عبد القادر" على كل ما قدمه لي من توجيهات
أثنت البحث ونصائح ساعدتني في مسار عملي. فربما لا تسعفني
الكلمات في قول كلمة الحق فيه، فإنه نِعَمَ المشرف، وخير الخيرة،
فلولا جهوده لما تمكنت من مواصلة النجاح، فشكراً له على الأرض
حُباً وكرماً على عطائه.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير لأعضاء اللجنة المناقشة:
"الأستاذ الدكتور زمري ممد" و"الدكتورة زحام حمدية" على
تفضلهم بمناقشة هذه الرسالة والحكم عليهما وعلى نصائحهم العلمية
القيمة وتوجيهاتهم.

لكم مني كل التقدير والشكر والعرفان بعدد قطرات المطر
وعدد من حج واحتمر

مقدمة

يمتاز كل زمن بأسلوب خاص به في السرد الأدبي ليعبر عن وجوده، ففي العصور التاريخية القديمة كان الشعر الملحمي هو النمط السردى المعبر عن روح العالم القديم ومعتقداته، بحيث ظهرت أعمال شعرية ملحمية كالإلياذة والأوديسة .

بينما عبر الأدب عن روح العصر الحديث وقيمه السائدة وعن أفكاره في فن نثري يدعى "الرواية" فهي بصورتها وأسلوبها عبرت من خلالها عن المجتمع الحديث، عن قيمه ونمط عيشه ولازمته في تصوراتها.

لقد احتلت الرواية مكانة مرموقة في مجال الأدب، وعملت على إيصال الحلقة بين الأديب والمتلقي ونسج خيوط بينهما لتكتمل العملية الإبداعية، كما حضنت العديد من الإبداعات. فما شدّ انتباهي رواية "خطوة في الجسد" للروائي والقصص الجزائري "حسين علام" لما تحمله من أحداث اجتماعية واقعية، وأساليب تشويقية، وما زادني رغبة في دراستها تحصلها على جائزة مالك حداد للرواية سنة 2005م. مما جعل وقع اختياري لدراسة صورة المكان ودلالته في رواية "خطوة في الجسد"، ذلك. بالإضافة إلى كونها تتناول صورة مدينة تلمسان التي أنتمي إليها وتعدد معاناة أهلها في فترة العشرية السوداء. من جانب آخر إن حيي للرواية وإلهامي بها هو أكبر دافع جعلني أختار الدراسة الروائية ولمس جمالياتها والإبحار في دالاتها.

لقد خضعت هذه الرواية "خطوة في الجسد" إلى دراستين تمثلت في:

ميكانيزمات التجريب الفني بين الجمالي والمرجعي للباحثة سعاد حمداش، ومشكلات النص الروائي الجزائري من طرف الباحث حسين خالفي.

مما لا شك فيه أنه لا بد للباحث أن يحقق مجموعة من الأهداف، مما دفعني إلى الخوض في هذا الموضوع تجلت بعضها في:



-التعرف على مصطلح المكان، وكذلك بعده الروائي، ومدى واقعيته وخياله داخل الرواية، والأهم من ذلك هو محاولة استكناه دلالة المكان في هذه الرواية التي تتحدث عن سنين الإرهاب في الجزائر حيث يعتبر المكان فيها ذا أهمية كبيرة.

من خلال ما سبق يمكن القول إن البحث يطرح إشكالية مركزية يدور حولها الموضوع وهي:

- ما هو دور المكان في رواية تتحدث عن الإرهاب في الجزائر؟ وأين تكمن دلالة الأماكن فيها؟.

للإجابة عن هذه الإشكالية اتبعت خطة بحث جاءت مكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، حيث تناولت في الفصل الأول ماهية المكان اللغوي من بعده الاصطلاحي إلى حضوره الروائي "أنواعه وأبعاده"، وفي الفصل الثاني قد تحدثت عن ترجمة لحياة الروائي حسين علام، كما قدمت الرواية "خطوة في الجسد" تقديمًا عامًا من حيث العنوان، ملخص للرواية وصولاً إلى الشخصيات الرئيسة والثانوية داخل المتن الروائي، أمّا الفصل الثالث فخصصته لتوضيح دلالة الأمكنة التي وظفها حسين علام في رواية خطوة في الجسد معتمدة على نوعين: الأمكنة المغلقة والأمكنة المفتوحة.

وأخيراً الخاتمة التي تضمنت جلّ النتائج المستنبطة من هذه الدراسة.

قصد معالجة البحث وفق مبادئ موضوعية وأسس علمية محضة، كان لابد من الاستناد إلى المنهج المناسب، الذي يتماشى وفق خطة البحث، قد استلزمت الدراسة المنهج الوصفي القائم على أداة التصور قصد استنباط دلالة الأماكن في الرواية.

كما استلزم الموضوع المنهج التحليلي الذي اتخذته لشرح وتحليل التصورات التي كان يقصدها الروائي "حسين علام" من خلال الأماكن المفتوحة والمغلقة التي أوردها في روايته.



استندت لإنجاز بحثي هذا على مجموعة قيمة من المصادر والمراجع التي بفضلها تستقيم الدراسة. من أهمها:

كتاب عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات الكتابة الروائية) الصادر عن دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر. وكتاب حسن مجراوي، في بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، الصادر عن المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، في طبعته الأولى 1990م. وكذا كتاب حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي الأدبي للنشر، في طبعته الأولى 1991م.

لا يغيب عن الذكر بطبيعة الأحوال تلك الصعوبة التي تعترض كل باحث، لكن نظرا لجمالية البحث وتشويقه، وبما أنّ مهام الباحث هو البحث عن المعلومات وصياغتها في قالب رسالة منظمة، فلا تعد تلك صعوبات بل أمراً طبيعياً.

في الأخير لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل وأشيد بالفضل إلى المشرف الأستاذ الدكتور شريف بموسى عبد القادر على مجهوداته، وتوجيهاته لي في مسار عملي، ونصحه الدائم، ورحب صدره وصبره علي، فقد كان نعم المشرف كما أتقدم بالشكر على القائمين على قسم اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان من أساتذة وإداريين الذين رافقوني طيلة المشوار الجامعي.

وبعد، فإن أصبت فذلك المبتغى، وهذا ما أرجوه من الله عزّ وجل وإن كان غير ذلك فالله أحمد.

مامون إيمان

تلمسان 26/50/2019



الفصل الأول

ماهية المكان اللغوي من بعده الاصطلاحي إلى

حضوره الروائي "أنواعه وأبعاده"

المبحث الأول : مصطلح المكان

المبحث الثاني : المكان الروائي، "أنواعه وأبعاده"

المبحث الأول: مصطلح المكان :

ترجم علاقة الإنسان بالمكان كونها علاقة جدلية مصيرية، حيث لا يمكن أن يتصور الذهن لحظة من لحظات الوجود الإنساني خارج سياق المكان، فالإنسان مرتبط بالمكان منذ لحظة وجوده في الحياة، إذ أن الأرض التي خلق منها وإليها يعود هي مكان، قال الله تعالى:

«مَنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ مَرَّةً أُخْرَى» سورة طه/55

إذن "فالمكان هو حاضن الوجود الإنساني وشرطه الرئيسي"¹، حقاً وبالرغم من أن الزمن كذلك قوي الصلة بحياة الإنسان إلا أنه في كل أحواله محركاً نفسياً شعورياً غير منظور بخلاف المكان الذي يرتبط بالتصور الذهني، بمعنى أن الزمان لا يتجلى إلى من خلال أثره في الأمكنة والأشياء والبشر، قد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة كون المكان والزمان هما سر الوجود الإنساني بقوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» سورة الأعراف/54. فالحياة بكل عناصرها ومكوناتها أمكنة.

1- المكان في اللغة:

ورد المكان في معجم العين من مادة مَكَنَّ: "المكان في الأصل تقدير الفعل، مُفْعَلٌ، لأنه مَوْضِعَ الكَيْنُونَةِ، غير أنه لما أكثر أجزؤه في التصريف تجرَى الفِعْلِ، فقالوا: مَكَّنَّا لَهُ، وقد تمكن، وليس بأَعْجَبَ من تَمَسَّكَنَ من المسكين.

¹ - عبد الحميد محاييد، جدلية المكان والزمان في الرواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ص 20.

والدليل على أن المكان مُفْعَلٌ: أن العرب لا تقول: المكان هو مَبْنِيّ مكان كَذَا وكذا إلاّ بالنَّصْب¹

-المكان في لسان العرب من باب مَكَّنَ: "أَبُو منصور: المكان والمكانة واحد. التهذيب: اللَّيْثُ: مكان في الأصل تقدير الفعل مُفْعَلٌ لأنه موضع لكيونة الشيء فيه غير أنه لما كثر أَجْرُؤُهُ في التصريف مُجْرَى فِعَالٍ، فقالوا: مكنا له وقد تمكن، وليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكن قال: والدليل على أن المكان مفعول أن العرب لا تقول في معنى هو مبني مكان كذا وكذا إلا مَفْعَلٌ كذا وكذا بالنصب، ابن سيدي، فالمكان الموضع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعلا لأن العرب تقول: كُنْ مكانك، وقم مكانك، وأقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه؛ قال: وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة أصلية لأن العرب تشبه الحرف بالحرف"²

-ورد في الوسيط من مادة كَوَّنَ: "المكان: المنزلة، يقال: هو رفيع المكان، والموضع جمع أمكنة، والمكانة هو المكان بمعنييه السابقين"³

بينما المكان في مختار الصحاح جاء في مادة كيت، باب الكاف: "المكان والمكانة الموضع.

قال تعالى: «وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ» سورة يس/67، ولما كثر لزوم الميم في استعمالهم تُوهمت أصلية فقليل (تَمَكَّنَ) كما قيل في المسكين (تَمَسَّكَنَ)⁴

¹ - أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مادة مَكَّنَ، دار الرشيد للنشر، بغداد، الجزء الخامس (د.ط)، 1982م، ص 387.

² - أبو الفضل جمال الدين مُجَدِّد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة مكن، دار للنشر، بيروت، لبنان، الجزء الثالث عشر، الطبعة الأولى، 1990م، ص 414.

³ - إبراهيم مصطفى، معجم الوسيط، مادة كَوَّنَ، دار العودة، تركيا، (د.ط) 1989م، ص 806.

⁴ - مُجَدِّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، معجم مختار الصحاح، مادة كيت، باب الكاف، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، (د.ط)، 1986م، ص 243.

- جاء المكان في تاج العروس من جواهر القاموس من مادة مكن: "المكان: الموضع الحاوي للشيء، وعند بعض المتكلمين أنه عرضاً وهو اجتماع جسمين، حاوٍ ومَحْوِي، وذلك ككون الجسم الحاوي محيطاً بالمحوي، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين، وليس هذا بالمعروف في اللغة، قال الراغب، جمع أمكنة، كقذال وأقذلة، و(أماكن) جمع والجمع"¹

- ورد المكان في المحيط في اللغة من مادة مكن: "المكان من المَكْنُ والمَكْنُ: بَيَضُ الضَبِّ، ضبة مكُون، وأمكنتُ الضَّبة والجرادة، إذ اجتمع البيض في جوفها ومكثَ أيضاً. وفي الحديث: "أفَرُّوا الطيرَ على مكانتها" ومكانتها أي عشها وأمكنتها ويجمع المكان على أمكن " ².

-المكان في جمهرة اللغة: "والمكان: مكان الإنسان وغيره، والجمع أمكنة ولفلان مكانة عند السلطان، أي منزلة ورجل مَكِينٌ من قوم مُكَنَاءٌ عند السلطان وتمكنتُ من كذا وكذا تمكنا واستمكنت منه استمكنا"³

كانت هذه بعض التعريفات اللغوية للمكان من المعاجم العربية.

2- المكان في الاصطلاح:

كلمة المكان لها الكثير من الدلالات، فقد اقتحمت العديد من الميادين المعرفية حيث وجدت هذه اللفظة صداها في مختلف الميادين العلمية والأدبية متفقين أو متباينين في مفهوماتهم لها كما توصل إليه السابقون، ومؤكدين على أحد مدلولاتها فيما يتعلق بذلك العلم.

¹-مُحَمَّد مرتضى الحسين الزبيدي، معجم تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مراجعة عبد الباقي ضاحي وخالد عبد الكريم جمعة، مادة مكن، التراث العربي سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، الجزء السادس والثلاثون، الطبعة الأولى، 1994م، ص 284.

²-الصاحب إسماعيل بن عبّاد، المحيط في اللغة، تحقيق مُحَمَّد حسن آل ياسين مادة مكن، عالم الكتب، الجزء السادس، الطبعة الأولى، 1994م، ص 284.

³-أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي، معجم جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، ص 983.

يعد المكان معطى (سيموطيقي)¹ في حياة الإنسان، وبالتالي أصبح هذا المكان جزء لا يتجزأ منحياته، قد جاء على لسان اعتدال عثمان أنه "مساحة ذات أبعاد هندسية (طبوغرافية)² تحكمها المقاييس والحُجْم"³

أمّا بالنسبة لسيزا قاسم فهي ترى المكان على أنه: "الإطار الذي تقع فيه الأحداث"⁴ إن كلتاهما حصرتا المكان في زاوية مغلقة الزاوية الجغرافية وحسب...بينما المكان هو فضاء واسع وشاسع الأفق حيث تفاعل بين الأنا والآخر (العالم الخارجي) نجد على هذا السياق تعريف ياسين نصير: "بدء تدوين التاريخ الإنساني ويعني الارتباط الجذري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية للعيش، للوجود لفهم الحقائق الصغيرة، لبناء الروح، للتراكيب المعقدة والخفية، لصياغة المشروع الإنساني ضمن الأفعال المبهمة"⁵

معنى أن المكان ارتبط بالإنسان ارتباطا ملازما، بدء من وجوده إلى بعد مماته، لذا شغل جذرا كبيرا في فكر الأقدمين والمحدثين على حد سواء. كما يرى غاستون باشلار: "أن المكان هو البيت، هو كل شيء حيث يعجز الزمن على تسريع الذاكرة، هو مكان الألفة..."⁶ إن ما يحاول

¹-السيموطيقا: السيموطيقا - كما هو معلوم- عبارة عن لعبة التفكير والتكيب، وتحديد والبنيات العميقة الثانوية وراء البنيات السطحية المتجلية فونولوجيا، وصرفيا، وداليا وتركيبيا. والسيموطيقا لا يهتمها ما يقول النص، ولا من قاله، بل يهتمها هو كيف قال النص ما قاله. أي: أنها لا يهتمها المضمون، ولا حياة المبدع ولا سيرته، بقدر ما يهتمها شكل المضمون. السيموطيقا دراسة شكلانية للمضمون، تستنطق الشكل إن تفكيكا وإن بناء، فإن تحليلها وإن تأويلا، لمساءلة الدوال من أجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى سطحا وعمقا. انظر: جميل حمداوي، الاتجاهات السيموطيقية (التيارات والمدارس السيموطيقية في الثقافة العربية)، مكتبة المثقف، الطبعة الأولى، 2015م، ص 11-12.

²-الطوبوغرافيا: هو علم يبحث في توقيع ورسم الهياكل الطبيعية والاصطناعية في مساحة من الأرض على قطعة من القماش أو ورق بواسطة رموز اصطلاحية ونسبية ثابتة في مقياس الرسم. انظر: خالد بن سليمان بن سالم الخروصي، الطبوغرافيا وتطور علم الخرائط "قراءة الخرائط والملاحاة الأرضية، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، البسطة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006م، ص 19.

³-عثمان اعتدال، جماليات المكان، مقالة ضمن موقع الصحافة على شبكة الأنترنت الرابط:

<http://www.alsehafasd.net/detail.php?anticlend=60928>

⁴-سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 1984، ص 395.

⁵-ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، 1986م، ص 395.

⁶-غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الثانية، 1984م، ص 39.

غاستون التأكيد عليه هو أن المكان هو البيت، إذ أن هذا الأخير هو أهم مكان مرتبط بالإنسان، هو كل شيء بالنسبة له هو الروح والجسد الذي يمثلانه، إذ يعد ذاكرته لأنه مرتبط به منذ ولادته حتى وفاته قد سار داخله شريط الحياة... هنا إن دل على شيء فإنما يدل على مادة المكان، فغاستون ذهب بفكرة المكان من جانب ارتباط الإنسان بشيء مادي ملموس إذ هو البيت.

بينما نجد فرانسيس هربرت برادلي، يناشد أن المكان "يتألف من أجزاء جامدة ممتدة وهي قابلة للانقسام: وهي في انقسامها تختلف عن الأجزاء. وبالتالي ليس في قدرتي إدراك ومعرفة المكان الكلي بطريقة مباشرة، ولكن هناك ما يطلق عليه تخوم المكان والتي تتكون عبر اتساعه عند حدود الأفق"¹

إن برادلي يؤكد على نقطة مهمة في تعريفه للمكان: إذ أنه يشير إلى عدم إدراكه ومعرفته بشكل كلي، أي لا يمكن أن تعطي للمكان تعريفا واضحا ملموسا، فالمكان عنده فبالرغم من كونه حقيقة موجودة وشيء ملموس يحوي الإنسان إلا أن كيانه نفسي مرتبط بالناحية النفسية للإنسان إذ يمكن أن نقول أن هذا يدل على الفراغ الذي يعد أحد الملامح الأساسية للمكان.

أما عند يوري لوتمان نجده بصيغة مختلفة؛ إذ يعد عنده "ممكن القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوانية للكائن الحي"².

اتخذ مصطلح المكان مجالا واسعا في البحث والتمحيص والتدقيق، وبالرغم من تضارب الآراء واختلاف المفاهيم إلا أنها تدور في دائرة مغلقة وهي ارتباطه بالإنسان بشكل أو بآخر.

¹-برادلي فرانسيس هربرت، مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة، ترجمة توفيق الضوى، نشأة المعارف الإسكندرية، (د.ط)، 2003م، ص 48.

²-يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، تقديم وترجمة سيزا قاسم، (جماليات المكان، مجموعة من الباحثين)، عيون المقالات، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2001م، ص 59.

المبحث الثاني: المكان الروائي، "أنواعه وأبعاده"

1- المكان في الرواية:

تعد الرواية جنساً أدبياً، أو عالماً من الخيال، يجسده الروائي من خلال شخصيات وأحداث زمان ومكان، فهي مرآة عاكسة لواقع الإنسان المعاصر في تساؤلاته وانشغالاته، غير أنه لا يوجد تعريف جامع ومانع للرواية كنوع أدبي، ومرد ذلك إلى أنها من الحقول المعرفية غير المكتملة الدلالة حيث أن كل مبحث يدلي بدلوه فيها، "تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً، وذلك لأننا نلغي الرواية تشترك مع الأجناس الأخرى بمقدار ما تتميز عنها بخصائصها الحميمية وأشكالها الصميمية"¹.

"المكان في الرواية ليس هو المكان الطبيعي أو الموضوعي إنما هو مكان يخلقه المؤلف في النص الروائي عن طريق كلمات ويجعل منه شيئاً خيالياً"² أي أن المكان داخل الرواية يعد مكاناً متخيلاً نابعاً من ذهنية المؤلف أخرجته في قالب لغوي لبني عمله الفني (الرواية)، ذلك لحاجة في نفسه. "والمكان باعتباره عنصراً من عناصر الرواية، له دور فعال في النص الروائي، إذ قد يتحول من مجرد خلفية تقع عليها أحداث الرواية إلى عنصر تشكيلي من عناصر العمل الروائي، فهو له دور مكمل لدور الزمان في تحديد الدلالة. كما أن له أهمية كبرى في تأطير المادة المكانية وتنظيم الأحداث؛ إذ يرتبط بخطية الأحداث السردية، بحيث يمكن القول بأنه يشكل المسار الذي يسلكه تجاه السرد. وهذا التلازم في العلاقة بين المكان والحدث هو الذي يعطي للرواية تماسكها وانسجامها ويقرر الاتجاه الذي يأخذه السرد لتشييد خطابه، ومن ثم يصبح التنظيم الدراسي للحدث هو إحدى

¹-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1998م، ص 11.

²-بدرى عثمان، بناء الشخصية الرئيسة في روايات نجيب محفوظ، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ص 94.

المهام الرئيسية للمكان"¹.

يتولد المكان الروائي ويسطع في الرواية من خلال العقد الذي يبرمه المؤلف مع القارئ باعتبار النص آلة كسولة على حد تعبير أمبرتو إيكو، لأن النص الروائي مهما حاول أن يستقطب العالم الخارجي ويحدد أبعاده فإنه يظل إحالة بسيطة على عالم فسيح ولا متناه. هنا نلتقي مع قول حسن بحراوي: "...وقد مثل هذا التوجه الأكثر حيوية غاستون بشلار" عندما قام في (شعرية المكان) بدراسة القيمة الرمزية المرتبطة بالمناظر التي تتاح لرؤية السارد أو الشخصيات سواء في أماكن إقامتهم كالبيت والغرفة المغلقة أو في الأماكن المنفتحة الخفية أو الظاهرة المركزية أو الهامشية... وغيرها من التعارضات التي تعمل كمسار يتضح فيه تخيل الكاتب والقارئ معاً"² فالمكان وصف لا يقتصر على الإطار الجغرافي التي تقع فيه الحوادث فحسب، بل تتعداه إلى إعطاء تفسير، وقراءته للنص الروائي، ويساعد أيضاً على الفهم. واختيار الروائي الأمكنة بدقة يساعده على معرفة ما يرمي إليه هذا المؤلف وما يسعى توصيله للمتلقي. نلتقي هنا مع شاكر النابلسي في تعريفه للمكان الروائي مؤكداً أهميته في البناء السردي، قائلاً: "هو المكان الذي يصبح خيطاً أو خيوطاً واضحة من نسيج القماش الروائية، ولا يأتي كضيف ثقيل الدم، ويغادر الصالون الروائي دون أن يكون له دور ما في البناء أو النسيج الروائي"³ إذا فالمكان الروائي يختلف بالضرورة عن المكان الواقعي كما وضحنا سابقاً.

2- أنواع المكان الروائي:

نظراً لأهمية المكان في البناء السردي الروائي باعتباره عنصراً لا غنى عنه في العمل الأدبي وخاصة عندما يصبح محوراً حقيقياً من خلال الإسقاطات التي يقوم بها الروائي، فهو من أهم المحاور الروائية المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب وتحليل شخصياته، فقد تعددت أنواعه وتشعبت، حيث وجدت صعوبة في تحديد

¹-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 30، 29، 20، بتصرف.

²-المرجع نفسه، ص 25.

³-شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م، ص 276.

أنواع المكان بصفة محددة ولكن توجد اجتهادات تطبيقية استطاعت أن تسلط الضوء على بعض منها.

-يقول حميد الحميداني: "إن الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبطة بالاتساع والضييق أو الانفتاح أو الانغلاق"¹ من هنا فإن تحديد نوعية الأمكنة قد اختلفت من باحث إلى آخر ومن روائي لآخر باعتباره العمل الفني الروائي.

- "لقد اشتغل "حسن البحراوي" على تحديد هوية المكان على متابعة تعدد التقاطبات وميز بين نوعين من التقاطبات:

-التقاطب الأصلي: قد عده بـ (الإقامة - الانتقال)

-التقاطب الفرعي: قد مثله في (شعبي - راقبي)

لكنه اقتصر على نموذج التمثيلي واحد في تحديد أنواع المكان وهو التقاطب الحاصل بين أماكن الإقامة وأماكن الانتقال إذن المكان عنده ينقسم إلى:

أ- أماكن الانتقال: وهي أماكن عامة مثل الأحياء، الشوارع وأماكن الخاصة مثل: المقهى، المدرسة، البلدية،... إلخ

ب- أماكن الإقامة: وهي أماكن تتميز من حيث أنها أماكن الإقامة الاختيارية المتمثلة في فضاء البيوت مثلاً: البيت الراقبي، البيت الشعبي... وأماكن الإقامة الجبرية والمتمثلة في (فضاء السجن) مثلاً: زنزانة، فسحة..."²

¹-حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز العربي، دار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2000م، ص 72.

²-حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمان، الشخصية)، ص 41، 40. بتصرف.

في نظر حسن البحرابي قد تواردت هوية المكان في تعدد التقاطعات؛ إذ أنه أبرز خاصية المكان في أنواعه الذي جسدها في أماكن الانتقال وأماكن الإقامة. معناه أن أنواع المكان عنده تتجلى في نوعين اثنين كما أوردناها سابقاً.

"ونجد "غلب هالسا" قد ميز أنواع المكان بالعناوين التالية:

أ- المكان المجازي: ونقصد به المكان الافتراضي المخالف للحقيقة، وهو بمثابة مكان تجري فيه الأحداث ومكمل لها، مثل: الأشجار التي تعترض طريق البطل وتخفي الهارب، كما أنه قد يكون هذا المكان وصفاً لحالة تمر بها إحدى الشخصيات الروائية من آفات اجتماعية مجسدة في فقر مثلاً والغنى ولهذا تكون صفات مثل هذا المكان من النوع الذي ندركه ذهنياً ولكننا لا نعيشه.

ب- المكان الهندسي: هو مكان نجده مجسداً في الروايات الدرامية التي يغلب عليها طابع اليأس والعجز والإحباط... تذكره الرواية بدقة محايدة، تنقل أبعاده البصرية، فتعيش مسافاته، وتنقل جزئياته، من غير أن تعيش فيه.

ج- المكان بوصفه تجربة معيشية: بعد هذا المكان من أكثر الأماكن تأثيراً في حياة الإنسان ويبقى مخلداً ومحفوراً في ذاكرته، فهو الذي يشكل دون أي مكان آخر ذاتيته، ونأخذ أكبر مثال: البيت، فهو أكثر الأماكن الذي يتواجد فيها الإنسان إذ يعد أهم مكان يعمل على دمج أفكاره وذاكرياته وأحلامه وآماله وآلامه، في الماضي والحاضر والمستقبل.

د- المكان المعادي: هو المكان الذي يخالف طبيعة الإنسان المحبة إذ أنه يقف للإنسان بالمرصاد لمواجهة إنسانية، لدلالته على السلطة وفرض التحكم. إذ يتمحور حول: (السجن، مكان الغربية، المنفى، الطبيعة الموحشة الخالية من البشر وما شابه...) ¹

-هناك من نحي منحى آخر وقسم المكان إلى قسمين:

¹-غالب هالسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن هانئ، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1989م، ص 8،9، بتصرف.

أ- المكان المفتوح: "وهو المكان الذي تتلقى فيه أنواع مختلفة ويزخر بأشكال متنوعة الحركة"¹ بمعنى أنه مساحة مفتوحة لا تحدها حدود ضيقة؛ إذ يوحي المكان المفتوح بالاتساع والتحرر، ولا يخلق مشاعر الضيق والخوف، لاسيما إذا كان المكان مفتوح في أمكنة المناهي والمخيمات.

وتقر حفيظة أحمد قائلة: "ويرتبط المكان المفتوح بالمكان المغلق، ارتباطاً وثيقاً، ولعل حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المكان المفتوح، توافقا مع طبيعته الراغبة دائماً في الانطلاق والتحرر وهذا لا يتوفر إلا في المكان المفتوح"² هذا يدل على ارتباط الإنسان بالمكان المفتوح وميله له. وترصد الأماكن المفتوحة على سبيل المثال في: الوطن، المدينة، القرية، الشوارع، الجبال...

ب- المكان المغلق: هو مكان يعد حلقة اختناق بالنسبة للإنسان فهو يعبر في نظره عن الحواجز والقيود التي تشكل عائقاً لحرية نشاطه وانتقاله من مكان إلى آخر. الصفة المعبرة عن الأماكن المغلقة.

إذ تعطي حفيظة أحمد نظرتها حول الأمكنة المغلقة مصرحة: "تؤدي الأمكنة المغلقة دوراً محورياً في الرواية، لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية، وتتفاعل هذه الأمكنة المغلقة مع الأمكنة المفتوحة بإيجابياتها، وسلبياتها وتحليلاتها، فتغدو هذه الأمكنة المغلقة مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب وحتى الخوف والتجسس، فالأماكن المغلقة، ناديا واجتماعيا، تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس وتخلق لدى الإنسان صراعاً داخلياً بين الرغبات وبين المواقع"³. وتتجلى الأماكن المغلقة في: القرية، السجن، البيت، ...

¹ -عبد الحميد بورايو، منطق السرد، (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة) ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 1994م، ص 146.

² -حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات مركز أوغاريت الثقافي، فلسطين/ طبعة واحد، 2007م، ص 134.

³ -حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص 134.

في حين وجدنا تصنيف " أبرهام أ.مول، وإليزابيث رومر "للمكان على الأقسام التالية باعتبار حرية الإنسان:

أ- "المكان عندي: هو المكان الذي أمارس فيه سلطتي، ويكون مكانا حميميا أليفا مثل: البيت والغرفة..."

ب- المكان عند الآخرين: هو مكان يشبه الأول من نواحي كثيرة، لكنه يختلف في كون الخضوع لسلطة الغير.

ج- الأماكن العامة: هذه الأماكن نشعر فيها بحرية محدودة، هي ليست ملكا لأحد، إذ أنّها ملك للسلطة العامة (الدولة) النابعة من الجماعة.

د- المكان اللانهائي: ويكون هذا المكان خاليا من الناس فهي أرض واسعة لا تخضع لسلطة أحد، مثل: الصحراء، البحر...¹

قد تنوعت أنواع المكان في العمل الروائي عند النقاد والباحثين العرب والغرب من حيث التقسيم إلا أنّها صّبت في نهر واحد ألا هو ارتباطها بالإنسان؛ أي الشخصية الروائية.

3- أبعاد المكان الروائي:

المكان الروائي له أبعادا أساسية، إذ إن لكل بعد في هذه الأبعاد: " وظيفة خاصة في إنتاج البنية الدلالية للرواية"² بمعنى أن لكل بعد ميزته في الإفصاح عن الإبهامات التي يلجأ لها المؤلف مما يفصح عن ماهية الرواية؛ لأن الروائي يُعنى: "برسم أبعاده رسماً محدداً تحديداً فنياً رائعاً، ويعد إبراهيم

¹ -كتيبة ربيب، جماليات الزمان والمكان في شعر عز الدين المناصرة ديوان لا سقف للسماء-أ نموذجاً-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، مناقشة سعدي محمد، 2001م-2002م، ص 54، 53، بتصرف.

² -محمد صالح الشنطي، المكان في الرواية السعودية (التوظيف والدلالة) رواية الموت يمر من هنا، لبعده الحال أنموذجاً، أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغات)، الأردن، (د.ط)، 2003م، ص 248.

أصلان من أهم الروائيين العرب المعاصرين الذين صوروا هذه القسمات المكانية بدقة لفنان متمكن من أدوات ذلك الفن¹

إلا أن موضوع أبعاد المكان عرف اختلافا من حيث العدد على طاولة البحث والدراسات، فنجد التباين عند جمهور العلماء؛ إذ إن البعض قسمها إلى ثلاثة أبعاد، منهم من جعلها أربعة أبعاد، ومنهم من أقر بسبعة أبعاد.

فالمكان عند إقليدس له ثلاثة أبعاد: "الطول، العرض، العمق"² وذكر كذلك أن للمكان عند العلماء المهندسة صفتين وقولهم:

إن المكان ذو ثلاثة أبعاد، ومعنى ذلك أنه لا يلتقي في نقطة واحدة من المكان إلا ثلاثة خطوط عمودية، والثانية قولهم: "إن أجزاء المكان مطابقة بعضها لبعض بحيث يمكنك أن تنشأ فيه أشكالا متشابهة على جميع المقاييس"³

إلا أنه تلخص عند أرسطو وأفلاطون في بعد واحد؛ إذ إن أفلاطون عده الحاوي للأشياء وأخذ بعدا أكبر في جعله "ما يحوي ذلك الشيء ويميزه ويجده ويفصله عن باقي الأشياء"⁴. في حين كان في نظر أرسطو "نهاية الجسم المحيط"⁵

-قد ميزت بعض الأبعاد المكانية التي اتفق عليها العلماء والباحثين جملهم، واتضح ذلك في:

أ. البعد الجغرافي:

¹- احمد عوين، أبعاد المكان الفنية في عصفير النيل لإبراهيم أصلان، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2004م، ص 5.

²- ذكريات مدحت كمنجي، جماليات المكان في الرواية النسوية الأردنية، دار الثقافة، الأردن، (د.ط)، 2011م، ص 13.

³- المرجع نفسه، ص 14، 15.

⁴- حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في الفلسفة ابن سينا، مراجعة وتقديم عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية بغداد، الطبعة الأولى، 1987م،

ص 19.

⁵- أرسطو طاليس، الطبيعة، تحقيق عبد الرحمان بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1964م، ص 312.

"يتضح البعد الجغرافي عندما يعمد الروائيون إلى وصف تضاريس الأمكنة وتوضيح طبيعتها (السهلية أو الجبلية) ... أو تسمى الأماكن بأسمائها الواقعية المعروفة"¹

إن وضوح البعد الجغرافي للمكان يتجلى في كونه يقتدي شيئاً من الاختصار في تقديمه؛ إذ يمكن أن نلتمس وجود هذا البعد من خلال وجوده داخل النص الروائي. فيما يمكن أن نجد معتمداً في وصف تضاريس الأمكنة وتصوير طبيعتها وأشكالها وفق ما نسميه بالتنمية الجغرافية الجيولوجية؛ أي كل ما يتعلق بالطبقة الأرضية على وجه الكرة الأرضية من سهول، أنهار، جبال وبحور... إلخ

كما قد نجد متجلياً في ذكر الروائي للأماكن والمناطق بأسمائها المطابقة للأسماء الحقيقية الموجودة على واقع الخريطة، قصد من ذلك جملة من خلفيات الفنية والفكرية، فهو ينظمها غالباً طالبا المزيد من إبراز واقعية المكان المشار إليه، وأحياناً قد يرتبط اسم المكان بالمفاهيم والأفكار والتواريخ.

"والمكان في مجمل أحواله يشير إلى المشهد أو البنية الطبيعية أو البنية الاصطناعية التي تعيش فيها الشخصية الروائية وتتحرك وتمارس وجودها، كما يضم قطع الأثاث والديكور والأدوات كافة بمختلف أنواعها واستعمالاتها، كما يشغل وقت من اليوم وما يترتب عليه من أضواء مختلفة أو ظلمة، والطقس بكل أحواله، وتدخل ضمن المكان الأصوات والروائح"²، كذلك: "من الشائع في روايات كثيرة تحديد الموقع المكان جغرافياً وهذا التحديد لا يرمي إلى مجرد الإيهام بالواقع والحقيقة"³

نجد أن غاستون باشلار قد نسب إلى المكان الجغرافي دوراً في حياة الإنسان فيقول: "سوف يتبين أن الكون يصوغ الإنسانية فيحول إنسان التلال إلى إنسان جذور والنهار، وإن البيت يصوغ الإنسان"⁴

¹ -إسماعيل محمد السيد، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2010م، ص 19.

² -محمد صالح الشنطي، المكان في الرواية السعودية (التوظيف والدلالة) رواية الموت يمر من هنا لبعده خال أنودجا، مرجع سابق، ص 248.

³ -صالح صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار الشرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م، ص 51.

⁴ -غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غلب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الثالثة، 1997م، ص 68.

للبعد الجغرافي في الرواية العربية أهمية لا يمكن تجاهلها في أي حال من الأحوال لما تحمله من دلالات تمثل الواقع المكاني الجغرافي. فعلى سبيل المثال نجد في جغرافية الصحراء عند إبراهيم الكوني، الأزقة عند نجيب محفوظ، البعد الجغرافي لفلسطين عند صبحي فحماوي.

ب. البعد النفسي:

"أكثر أبعاد المكان وضوحاً وانتشاراً، هو البعد النفسي، فالمكان الذي لا يثير مقداراً ما من المشاعر، تعاطفاً أو تناثراً، قلما يستحوذ على اهتمام الفنان. وإخفاء البعد النفسي أو الشعور على المكان يبدأ من لحظة اختباره لاستخدامه في العمل الفني الروائي"¹ كما انه: "يدور حول تحديد مشاعر الشخصيات (نفور، قبول، انتماء، تعاطف...) إزاء الأماكن المختلفة"² حيث أن لكل مكان بعد نفسي: "سواء اتخذ البعد شكلاً مرضياً أو غير مرضي وبسبب التواشجات الكثيرة بين الرواية وعلم النفس، صارت دراسة المكان المعاصر تشكل تطوراً كبيراً متوافقاً بالضرورة بظهور طرق جديدة وتقنيات جديدة اعتمدها الروائيون برسم أمكنتهم الروائية، والبعد النفسي للمكان ينشأ عبر مستويين متراكمين يتم الفصل بينهما في إطار نظري افتراضي فقط والمستويان هما:

أ- ما يثيره في نفس المتعامل معه في شكل أولي.

ب- ما تضيفه المشاعر المستشارة على الكائن من أبعاد أخرى لا يمتلكها أساساً"³

كما أن للمكان علاقة قوية بالإنسان إذ "يرتبط الإحساس بالمكان بمزاجية الإنسان"⁴، مما

يعني أن المكان له علاقة وثيقة بالإنسان بأحاسيسه وطبعه فينتج عن ذلك مزاج مزدوج بعقلية

¹-صالح صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، ص 55.

²-إسماعيل مجيد السيد، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، الطبعة الأولى، 2002م، ص 20.

³-ذكريات مدحت كمنحي، جماليات المكان في الرواية النسوية الأردنية، ص 73.

⁴-عبد المنعم زكريا بلقاضي، البنية السردية في الرواية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الكويت، الطبعة الأولى، 2009م، ص 146.

الإنسان وطبيعة المكان، "وبأخذ المكان شكلا مغايرا وفق حالة السرد النفسية والمزاجية"¹؛ إذ قال حسين علام في روايته "خطوة في الجسد": "وهل كان يجدر بنا الكلام فالشجر استيقظ فينا عندما كانت المدينة نائمة في الحنجرة وصوتها المرعب ما عد يخيفنا ما دمنا كففنا عن سماعه في الداخل..."² وجاءت في رواية "زقنموت لتحسين كرمياني": "توقفت رغبة صناعة الفوضى والصخب داخل القاعة الجملونية، وقف ماهر يتأمل فوضى الدخان الممزوج بالغبار المتصاعد، تحوم كالأشباح تحت وهج كآبي للمصابيح انقطع التيار الكهربائي وحصل لغو عام، دقت صفارات الإنذار تمزق الفضاء الصامت فهيمن خوف شامل"³ للمكان إذا صلة بالنفسية الإنسانية فهو بمثابة المرآة العاكسة لأفعالها وطبعها ومزاجها، إذ أن "...المكان دعامة أساسية لكل تصور إنساني وكونه منطلق كدراسة تريد أن تدرك أبعاد النص وخلفياته النفسية والاجتماعية..."⁴ بمعنى أنه يكون مكان انطلاق لكل دراسة لعمل روائي فهو الذي يكشف عن الخلفيات النفسية والاجتماعية للشخصية.

ج. البعد الإيديولوجي:

أما البعد الإيديولوجي للمكان الروائي فتكمن دراسته في كونه وسيلة يعتمد عليها الروائي ليخبئ فيه أفكاره والقارئ يتوصل لفهمها: إذ أن كل مكان يدركه الروائي في نصه له خلفيات، فالمكان الذي نراه في الصفحات الروائية يحمل معاني كثيرة يدركها القارئ من خلال تصورات. حين نجد مصطلح "قرية" فهي تدل على الطبقة البسيطة والفلاحين والعيش الريفي البسيط وأوضاع بدوية، بخلاف مصطلح القصور حينما نراه سيذهب الذهن بالضرورة إلى الطبقة الاجتماعية المقصودة وهي البرجوازية والعيش الراقى.

¹ - عبد المنعم زكريا بلقاضي، البنية السردية في الرواية، ص 147.

² - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2006م، ص 267.

³ - تحسين كرمياني، رواية زقنموت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ط)، 2003م، ص 144.

⁴ - قادة عقاق، دلالة المدينة في خطاب الشعري العربي المعاصر، (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، من منشورات اتحاد العرب، دمشق،

(د.ط)، 2001م، ص 259.

د. البعد الواقعي، الموضوعي:

- إن البعد الواقعي لم يلقى الاهتمام الواسع والاحتفاء لدى جمهور الروائيين والنقاد، فالأمكنة الواقعية لم تكن ذات شأن كبير بالنسبة للروائي أو الناقد فهو يبحث دوماً عن كيفية تموضع الأمكنة على الورق، وبالتالي وجودها الفني لا الواقعي دون أن يعني ذلك توافقاً بين الواقعي والفني؛ إذ تظل علاقة الإحالة التخيلية في المكانين صوب الرواية طالما بقيت الرواية موجودة. - يتأكد البعد الواقعي في "الإحالة المستمرة من المكان الفني إلى المكان الحقيقي الواقعي والذي يكون محدداً بالاسم وذات صفات بارزة معروفة"¹ كما "إن النص يرفض الوقوع تحت هيمنة النص؛ بهذا المفهوم أحاول أن أقارب الواقع، أعيد صياغته واكتشافه والنفاذ لأعماقه، ولتصور جوانبه الحقيقية المجهولة التي لا يمكن تصورها إلا بعدسة الفن"² ومن هنا فإن "الواقع الفني يختلف عن الواقع بالمعيشة، ولو كان التوافق بينهما قائماً لكان الأهل أكثر إقناعاً من الوقائع الحياة ذاتها"³، فذلك لأن "العمل الفني ينسج لنا انعكاساً للواقع أكثر أمانة في جوهره واكتمالا في طبيعته وحيويته في تفاصيله"⁴ فواقعية المكان تكمن في الإتيان بمكان من الوسط المعاش ببعده الجغرافي الحقيقي وتركيبه في الرواية دون المساس به أو إضافة تغيرات عليه. هذا ما أقره عبد المنعم "تتجلى واقعية المكان في بعده الجغرافي الذي ينقله المؤلف الضمني في عالم الفضاء الروائي، فيهم في إبراز الشخصيات، وتحديد كينونتها المصبوغة بصبغة المكان، فييدي منذ الوهلة الأولى، عناية شديدة بالوقوف على خصائص المكان..."⁵

¹-إسماعيل مجّد السيد، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، ص 20.

²-أحمد إبراهيم الفقيه، الرواية العربية في نهاية القرن، رؤى ومسارات (رواية الواقع والخيال)، دار المناهل، المغرب، (د.ط)، 2006م، ص 310.

³-يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1999م، ص 51.

⁴-فضل صلاح، منهج الواقعية في الابداع الأدبي، دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م، ص 21.

⁵-عبد المنعم زكرياء القاصي، البنية السردية في الرواية، ص 142.

هـ. البعد التاريخي:

يتلخص البعد التاريخي للمكان الروائي في كونه "المكان الذي لا ينفصل عن الزمان وهو ما يدعوه بالزمكانية، ويتكون من العلاقة الناشئة بين الأمكنة والتاريخ، وتلعب هذه الثنائية الدور الأساس في حركة الأحداث ومنح الحكاية ثراءها ودلالاتها"¹ وفي الجانب التاريخي نلاحظ أن زمنية التاريخ واضحة إلى درجة السطوع، وهذا ما استدعى وضعها في بعد واحد للمكان الروائي (الزمني- التاريخي) واتصال الرواية بالتاريخ بوصفها جنسا ثقافيا، أيضا يتجلى في نقاط كثيرة قد يكون أبرزها فكرة الاستمرارية التي تحكم كلا منهما: "فالمكان يعد في حقيقة مضامينه هوية تاريخية و مادية ماثلة للعيان، فهو القادر على حفظ التاريخ و إظهاره؛ لأنه انعكاس للزمن، و ليس الهوية التاريخية وحدها التي تحدد المكان، بل هناك أيضا الظروف الاجتماعية و السياسية و الحرية التي تفوض و تفرز مكانا لم يكن موجودا على أرض الواقع، كمكان السجن و المخابئ، و الملاجئ"² لهذا قلما نجد في الباحثين و الروائيين من أشاروا إلى البعد الزمني التاريخي، فمثلا تشير سامية أسعد للبعد التاريخي إذ تقول " للمكان الذي تدور فيه أحداث القصة بعد تاريخي، و مكان آخر يوسع دائرة المكان إلى أبعاد مدى، و يرمي بالقصة من المحلية إلى العالمية."³ ، و في أغلب الأحيان تتردد لدى الباحثين فكرة وعي الواقع و ليس النص الروائي و حالة استحضار بمعنى " توظيف التاريخ وسيلة مثلى لفهم الواقع من خلال الماضي أو نقده من ناحية و من ناحية أخرى أسلوب جديد لفهم الرواية."⁴

¹ -أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2012م، ص 425.

² - حسين فهد، المكان في الرواية البحرينية، دراسة في ثلاثة روايات (الجدوة، حصار، أغنية الماء و النار)، دار فراديس للنشر و التوزيع، البحرين، الطبعة الأولى، 2003، ص55.

³ - صالح صلاح، قضايا المكان الروائي، ص 55.

⁴ - فتحي بوخالفه، شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 2010م، ص 169.

و. البعد الهندسي:

المكان هندسيا هو " وسط غير محدود يشتمل على أشياء، وهو متصل ومتجانس لا تميز بين أجزائه، و ذو أبعاد ثلاثة و هي الطول و العرض و الارتفاع... و إذا جمع بين الزمان و المكان في تصور واحد نشأ عنهما مفهوم جديد هو المكان الزماني، وله أربعة أبعاد هي الطول و العرض و الارتفاع و الزمان"¹.

أما بعده الهندسي يتجسد في لجوء الراوي إلى إلباسه أشكالاً هندسية متنوعة مما يضيف عليه قياسات و قوالب معينة، و هذا النوع من الأمكنة نجده في الرواية عندما يشرع الراوي في وصف المكان الذي تعيش فيه الشخصيات و تحدث فيه الأحداث، فيوصف المكان ليس جغرافيا و لا أيديولوجيا و إنما هندسيا بعجته وفق أشكال هندسية بغية التفنن فيه فيكون مربعا أو مستطيلا أو دائريا و غيرها من الأشكال إذ" يأخذ المكان بعدا هندسيا أي يدخل التوصيف الهندسي في لغة الوصف من خلال الأبعاد الهندسية عليه و استخدام المصطلحات المتداولة فيها"²؛ أي تحديد المكان من خلال شكله الهندسي.

¹ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية واللاتينية)، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 191.

² - عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، ص 137.

الفصل الثاني

حسين علام وروايته "خطوة في الجسد"

المبحث الأول : ترجمة لحياة الروائي حسين علام

المبحث الثاني:لمحة عامة عن رواية "خطوة في الجسد"

المبحث الأول: ترجمة حياة الروائي حسين علام

الروائي حسين علام:

"حسين علام روائي و باحث أكاديمي و قاص جزائري، مقيم بتلمسان حي بوجليدة من مواليد 15 يناير 1968م، بابتن باديس سيدي بلعباس، متحصل على شهادة البكالوريا سنة 1987م، شهادة ليسانس تخصص أدب عربي بجامعة تلمسان سنة 1992م أصبح أستاذ التعليم الثانوي" مادة اللغة العربية" من سنة 1993م حتى 2002م، ثم كان أستاذا مساعدا في جامعة سيدي بلعباس قسم اللغة العربية سنة 1998م، متحصل على شهادة ماجستير في الأدب العربي من جامعة وهران" مارس 2002م"، و شهادة دكتوراه في الأدب العربي تخصص أدب مغاربي مكتوب بالفرنسية جامعة مستغانم سنة 2013م، يعمل الآن أستاذا محاضرا، يدرس الآداب الأجنبية، بجامعة مستغانم منذ 2013م، تحصل على جائزة مالك حداد للرواية سنة 2005م، برواية" خطوة في الجسد" الصادرة عن الدار العربية للعلوم ببيروت و منشورات الاختلاف بالجزائر.

- الكتابة والنشر:

له كتاب موسوم: بالأدب العجائبي، من منظور شعرية السرد الصادرة عن الدار العربية للعلوم بلبنان، 2010م.

- الترجمات:

ترجمة لديوان" ظل حارس" لمحمد ديب، من الفرنسية إلى العربية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، 2008م.

- الدراسات المنشورة:

- دراسة: "إشكالية الجسد ودلالاتها في رواية ليلة القدر للطاهر بن جلول"، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، 2008م.

<http://www.awu->

dam.org/mokifadaby/447_2008448/mokif447_448_02.htm

- دراسة: الرواية وفعالية النص في "ليلة القدر" للطاهر بن جلول، مجلة "الخطاب"، مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر 2009م.
- دراسة: تجلي العجائبي على مستوى الفضاء في رواية من يتذكر البحر، لمحمد ديب، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، جانفي 2015م.

- المداخلات الوطنية:

- مداخلة: بعنوان تمظهرات الجسد في رواية قضاء الشرق لـ "عبد الوهاب بن منصور" في الملتقى الوطني "أدب المحنة في النص الجزائري المعاصر"، قسم العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، يوم 08-09 أبريل 2003م.
- مداخلة: بعنوان: من هو الكاتب المغاربي، في الملتقى الوطني الأول "المثاقفة والأدب الكولونيالي" بدار الثقافة مستغانم، يوم 14-15 أبريل 2010م.
- مداخلة: بعنوان: العجائبي في رواية من يتذكر البحر لمحمد ديب، في اليوم الدراسي المنظم في جامعة معسكر في قسم اللغة الفرنسية، يوم 30 أبريل 2012م.
- مداخلة: بعنوان: المرأة في أدب محمد ديب، في ملتقى المرأة في الأدب الجزائري، رموز وتجليات، مخير الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة تلمسان، يوم 29 أبريل 2015م.
- مداخلة: بعنوان، جان سيناك، الشاعر المفتون بالثورة الجزائرية، بالملتقى الجهوي الثاني للشعر الثوري، قصر الثقافة، تلمسان، يوم 31 أكتوبر و1 نوفمبر 2015م.

- المداخلات الدولية:

- مداخلة: بعنوان: الرواية وفعالية القص في ليلة القدر، في الملتقى المغاربي الخامس لتحليل الخطاب "الخطاب الروائي المغاربي بين التأصيل والتجريب"، قسم الأدب العربي، كلية الآداب، جامعة تيزي وزو، أيام 09-10-11 ماي 2009م.

- المشاركات والتنظيم:

- تنظيم يوم دراسي: وعي المصطلح لدى طلاب التدرج "منظم من قبل قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، يوم 26 أفريل 2010م.
- تنظيم ملتقى وطني: "تحولات الخطاب السردي في الجزائر" قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، يومي 25 و26 أفريل 2011م.
- تنظيم يوم دراسي حول "بنية الفكر العربي والإسلامي"، بين مُجدِّ أركون ومُجدِّ عابد الجابري، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، يوم 11 ديسمبر 2011م.

- الجوائز والتكريمات:

- شهادة تقدير ممنوحة من قبل رئيس جامعة مستغانم، أ.د. مُجدِّ صديقي، تقديراً للجهود العلمية في مجال النص العلمي الأكاديمي، بعد نشر كتاب "العجائبي في الأدب" الدار العربية للعلوم، لبنان، جويلية، 2010م.

- كان الباحث مهتماً أساساً بالسرد والبحوث المتعلقة به، وبخاصة تلك المكتوبة باللغة الفرنسية من زمن بعيد عبر الممارسة الفعلية لهذا النوع الأدبي وعبر البحوث الأكاديمية. فقد كانت مذكرة التخرج أثناء الليسانس بعنوان:

- الصوفية الطبيعية في رواية "الزين" للطيب صالح، ذلك سنة 1992م في قسم اللغة العربية بتلمسان.

وفي ذلك الحين جمع الباحث بين السرد كهواية والبحث الجامعي. ثم كانت مسابقة الماجستير طريقاً للمزيد من التعمق في المخيال الجماعي والسرد عبر دراسة بعنوان:

- الأدب العجائبي، من منظور شعرية السرد، الدار العربية للعلوم، لبنان، 2010م. ثم كان على الباحث أن يهتم أيضاً بالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من خلال القيام بترجمة ديوان "ظل حارس" لمحمد ديب من الفرنسية إلى العربية ونشره في "مجلة الموقف الأدبي" دمشق، عدد 448/447، عام 2008.

لقد كان النشر ضروري من أجل تطوير بعض المفاهيم في العجائبي والمواصلة في هذا الباب عبر المزيد من البحث في مظاهره المتعددة. من خلال نشر دراسة بعنوان:

- إشكالية الجسد ودلالاتها في رواية ليلة القدر للطاهر بن جلول بمجلة الموقف الأدبي، دمشق، عدد 448/447، عام 2008م.

ثم تليها دراسة أخرى بعنوان:

- الرواية وفعالية النص في "ليلة القدر" للطاهر بن جلول، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة "تيزي وزو"، الجزائر 2009م، شارك بها الباحث في الملتقى المغاربي الثاني بجامعة "تيزي وزو" حول الرواية المغاربية، سنة 2009م.

لتليها دراسة بعنوان:

- تجلي العجائبي على مستوى الفضاء في الرواية من يتذكر البحر لمحمد ديب، بمجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، جانفي 2015م.

- ولم يقتصر الأمر على البحوث الأكاديمية في الرواية المكرسة بل حتى الروايات التي لم تنل حقها من البحث كان لها نصيب من اهتمام الباحث في المداخلات الوطنية من مثل:

مداخلة بعنوان: تظاهرات الجسد في رواية قضاة الشرف لـ "عبد الوهاب بن منصور" في الملتقى الوطني "أدب المحنة في النص الجزائري المعاصر"، قسم العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، يوم 08-09 أبريل 2003م.

ومداخلة بعنوان: من هو الكاتب المغاربي. في الملتقى الوطني الأول "الثقافة و الأدب الكولونيالي" بدار الثقافة، مستغانم، يوم 14-15 أبريل 2010م. و أخرى بعنوان: العجائبي في الرواية من يتذكر البحر لمحمد ديب، في اليوم الدراسي المنظم في جامعة معسكر، في قسم اللغة الفرنسية، يوم 30 أبريل 2012م. ثم بمداخلة بعنوان: المرأة في الأدب لمحمد ديب، في ملتقى المرأة في الأدب الجزائري، رموز و تجليات مخبر الدراسات الأدبية و النقدية و أعلامها في المغرب العربي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب و الفنون، جامعة تلمسان يوم 29 أبريل 2015م. و مداخلة بعنوان: إشكالية التمثيل في النصوص العجائية، في الملتقى الوطني حول التمثيل في ضوء الدراسات المعاصرة، قسم اللغة و الأدب العربي، جامعة بجاية، يومي 24 و 25 ماي 2015م.

لقد كان للباحث مساهمة أيضا في التعريف بالكتاب الذين دافعوا عن الجزائر والذين عاشوا هموما فاحتضنتهم و آوتهم مثل "جال سيناك" و ذلك بالمساهمة خارج أسوار الجامعة بمداخلة بعنوان:

- جاك سيناك، الشاعر المفتون بالثورة الجزائرية بالملتقى الجهوي الثاني للشعر الثوري، قصر الثقافة، تلمسان، يوم 31 أكتوبر و 01 نوفمبر 2015م.

إن المساهمة بالبحث غير كافية بل المشاركة في تنظيم مؤتمرات وملتقيات ضروري للتواصل مع الباحثين الآخرين ولذلك سعى الباحث لتنظيم يوم دراسي:

-وعمي المصطلح لدى طلاب التدرج، مقام من قبل قسم اللغة العربية، كلية الآداب و الفنون، جامعة مستغانم، يوم 26 أبريل 2010م.

ثم تنظيم ملتقى وطني بعنوان: تحولات الخطاب السردي في الجزائر، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، يومي 25 و 26 أبريل 2011م.

ثم صياغة إشكالية وتنظيم يوم دراسي حول "بنية الفكر العربي والإسلامي"، سيف مُجَّد أركون ومُجَّد عابد الجابري"، بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، يوم 11 ديسمبر 2011م.

-عناوين البحوث التي أشرف عليها الأساتذة:

هذا ثبت ببعض عناوين البحوث التي أشرف عليها في مجال السرد ومجالات أخرى في مذكرات التخرج مع طلبة قسم اللغة العربية بجامعة مستغانم.

-شعرية السرد في رواية "الراحة والتنين" لإدوارد الخراط، من إعداد مسكين حسنية وبوطوية مليكة، سنة 2003م/2004م.

-العجيب والغريب في الحكاية الصوفية، من تقديم: زيان الحاجة كلثوم و برداد جميلة سنة 2003م/2004م.

-اللغة الشعرية عند قاسم حداد من تقديم: سعادة خطر و مليكة خاطر، سنة 2005م/2006م.

-تطور الشكل الروائي عند العرب "نجيب محفوظ نموذجا" من تقديم: مسوسي مُجَّد وقايم تواتي سنة 2006م/2007م.

-كشف الحيرة في أخبار ابن عمار شاعر الجزيرة، من تقديم بونوة عبد الحق سنة 2006م/2007م.

-شعرية أبي النواس، من إعداد بوخاتم مها مرينز فوزية، سنة 2006م/2007م.

- في الشعر والشعراء، قراءة في فصل "عيوب الشعر" لابن قتيبة، من إعداد باهي زهية ولعسال يمينية، سنة 2006م/2007م.
- وحدة القصيدة النقد الرومانسي العربي، بدر شاكر السياب، من إعداد بليل نعيمة وحليفي سامية، 2008/2007م.
- الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، من إعداد، سماعي خديجة، وبلفاضل أمينة، سنة 2007م/2008م.
- التجربة الشعرية عند الصوفية، السهر الوردية نموذجاً، من إعداد دارم حليلة وبولنوار فوزية 2008م/2009م.
- السياق في التحليل الأسلوبي في النص الشعري، محمود درويش نموذجاً من إعداد برحمة ليلي وخواصة حفيظة، سنة 2008م/2009م.
- الشعر الحديث والمعاصر في المغرب العربي، محمد بنيس نموذجاً من إعداد حراث حياة وقدمور بن علي عريفة، سنة 2008م/2009م.
- الكتابة ومنقى، محمد ديب نموذجاً من إعداد: دراء آسية وصياد فاطمة الزهراء 2010م/2011م.
- أثر المدرسة الشعر الحر في المغرب العربي "أحلام مستغانمي" نموذجاً من إعداد بلجلالي كريمة وخليفة زهراء، سنة 2011م/2012م.
- شخصية الأمير عبد القادر في رواية الأمير، مسالك أبواب الحديث من إعداد بن مشاري حياة وسنوسي محمد شريف، سنة 2011م/2012م.

-جدل الحداثة وبنية الشخصية في رواية "الشمعة والدهاليز" ل الطاهر وطار من إعداد:
بوشي سعاد وبن عائشة سامية، سنة 2011م/2012م.

-التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير إعداد عمور بو عبد الله، سنة 2013م/2014م.

-النظرية الشعرية عند ابن رشيق القيرواني، من إعداد بن عائشة سمية سنة
2013م/2014م.

-أثر الأدب الغربي في الشعر المهجري، من إعداد بلجيلالي كريمة، سنة
2013م/2014م.

-صورة المرأة في الشعر العباسي، المتنبّي نموذجاً، من إعداد خليفة زهرة سنة
2013م/2014م¹

¹-السيرة الذاتية لحسين علام، تحصلت عليها من خلال مراسلة الروائي حسين علام عبر بريده الإلكتروني الخاص به، فتم تزويد بها.

المبحث الثاني: لمحة عامة عن رواية "خطوة في الجسد":

-الرواية من منشورات الاختلاف بالجزائر، والدار العربية للعلوم ببيروت، تتحدث عن فترة حرجة في التسعينات وما بعدها، تتحدث عن مرحلة صعبة بين السلطة الاستبدادية والإسلاميين مما خلق حركة إرهابية في الوسط. خصت الرواية مدينة تلمسان بالضبط مع الأوضاع المزرية المأساوية في الجزائر ككل في فترة التسعينات من الناحية الأمنية على وجه الخصوص.

فازت سنة 2005م بجائزة مالك حداد للرواية العربية في طبعتها الثالثة بحضور صاحبة المبادرة الروائية أحلام مستغانمي.

1- عنوان الرواية: "خطوة في الجسد".

عنوان مثير للاهتمام، ففي الوهلة الأولى عندما نصب نظرنا للعنوان نجد في منحنى آخر؛ إذ يذهب القارئ إلى تفسير بعيد عن منشئ الرواية، فالعنوان في اللحظة الأولى نظنه يتحدث عن معاني الجنس الذي يعد محرما في الكتابات الروائية مثل السياسة والدين، كما يقال "طابو"، وما كان اعتماد الروائي للعنوان بهذا الشكل إلا في حاجة لجذب القراء واقتنائهم الرواية لأن من فطرة القارئ البحث عن المتعة لذا كان اقتناء العنوان نوعاً من الذكاء.

لكن بعد قراءة الرواية نجد أن العنوان له دلالة أخرى ربما يوحي بالموت فهو بصدد التعبير عن أوضاع حساسة تنبض بمعاني القتل والضياع وانعدام الأمن والاستقرار وقد يوحي ويفصح عن الحرب النفسية الداخلية وروح تبحث عن وجودها، فحين نقول خطوة في الجسد هنا تنبيه لوضع داخل الجسد، يعبر عن ضياع داخلي يتخلله انعدام الثقة واليقين.

2- ملخص الرواية: "خطوة في الجسد"

-تبدأ أحداث الرواية بحديث أهل المدينة المحروسة تلمسان عن قصة يوسف وباية، فراحوا يتحدثون عن قصة حب في فترة كان قد كثر فيها الحديث عن القتل والموت، القادم من كل الاتجاهات، لهذا السبب انتشرت القصة بسرعة وأصبحت حديث المقاهي والدروب والجلسات لأن الناس كانوا في أمس الحاجة إلى ما ينفس عنهم ويبقيهم أحياء، يبعدهم عن التفكير الدائم بالخوف قد تواردت هذه القصة في كل مكان من زوايا المدينة، مشعبة بالإشاعات التي تمثلت في أن هذه القصة ارتطمت بأشياء الخطيئة وانتهت بموت باية وانتحار يوسف وانقسم أهل المدينة من مدافعين عنهم ومن مورطين لهم في الرذيلة إلا أن سمعهم بنعمر صديق يوسف المقرب ورفيق دربه، الذي عاش معه الأحداث ويعرف قصته كاملة؛ إذ أنه ترك لم رسائل ومذكرات تحكي عن حياته ويعد هو الوحيد الذي يفك خط يده. فأراد أن يسكتهم ويرفع التهمة عن أخيه ويقراً لهم المذكرات التي تعد الدليل على حقيقة ما جرى.

بنعمر هو من أبناء مدينة تلمسان، عاش وقع الخوف اليومي من الموت، الذي أضحي محكوم به بسبب الصراع بين النظام المستبد المتحكم به والعسكر والأمن وبين المجموعات الإسلامية؛ أي الحركات الإرهابية. كان يرتاد مع أصدقائه بيت عمي حسان الداودي كحانة سرية، يشربون فيها ويتبادلون الأحاديث ويخافون من أي حركة خارج البيت لأن الشراب كان ممنوعاً عندهم في خضم الأوضاع التي كانت تسيطر عليهم. فهو يذهب يومياً إلى عمله ويعود كل يوم في روتين دائم، يترقب حالة الناس وملاحظهم البائسة المرعوبة من التهديدات التي كانوا يجدونها عند أبواب بيوتهم متمثلة في رسائل إنذار في بداية المطاف إلى أن يجدوا في المرة القادمة كفن وقنينة عطر وحناء لينتهي بهم المطاف مفصولي الرأس عن الجسد.

شرع بنعمر في قراءة مذكرات يوسف ابن مدينة تلمسان المحروسة، شاب له عائلة متواضعة، أمه التي ماتت مبكراً، وأخوه يحيى الذي أصابه الجنون وأصبح قابلاً أمام الفرن يتأمل لهب النار ويخيم عليه الصمت، يتحرك يمينا وشمالاً لكن داخله يحترق بسبب الظلم الذي عاشه والانهيال العاطفي الذي تعرض له والآلام التي تعتريه وتأكل داخله، بعدما كان رجلاً شهماً، رزينا ومتديناً، محباً للحياة ومتفطناً، وأبوه رجل متسلط تدور بينهم أحداث لا تمت للتفاهم بصلة تربطهم علاقة متنافرة، كأنه صراع بين الفكر القديم والفكر المعاصر، أب يرفض أن يختلف ابنه معه ويعارضه على معتركات الحياة.

كانت لديه أيضاً خالة اسمها زهرة، تلك المرأة الجميلة العظيمة الشهمة التي ساندتهم ومثلت دور الأم لهم، فهي كانت تأتي لتتهم بهم وبأمور البيت بحكم أنه لا يوجد امرأة في البيت لتعيه هو وأخوه.

يوسف سيتعرف على باية البجاوية التي أتت من بجاية إلى تلمسان لتدرس في الجامعة، لكن في حقيقة الأمر جاءت تبحث عن أسرار الأضرحة التي تمثل الأولياء الصالحين لإدراكها بوجود بعض الأريج في تلمسان من بجاية، محاولة تفسير العلاقة فيما بينهم، فكانت تتردد على الأضرحة، "أبي مدين شعيب، لالة ستي سيدي السنوسي، سيدي حلوي... وغيرهم"، باحثة عن ذاتها وانتماءها وجدورها فيهم

أصبحت باية ملاحقة من قبل المسلحين والإرهابيين والدولة، لأن أخوها كان ضابط شرطة في مدينة بجاية يدعى موسى وكانت تعيش معه في العباد وبسبب هذا ذهبت إلى بيت يوسف للاختباء خوفاً على نفسها من قتلها ذبحاً مثلما حدث مع صديقتها ليلي التي كانت معشوقة بنعمر الذي أضحي منهاراً ومتألماً يخوض صراعاً نفسياً مهلكاً.

عاش كل من يوسف وباية وبنعمر ألما و صراعات داخلية قاسية صوب ما جرى من ظروف مأساوية في حياتهم وفي مدينة تلمسان ومن شدة البرد فيها، حيث أن كل منهم عاش قصة حب مستحيلة. فيوسف بعدما عان ويلات السجن ظلما غادر المدينة متجها إلى الصحراء وستقر فيها باحثا عن بر الأمان وأخذها كملجأ ليريح فيها نفسه وشيء من جروحه وبيتعد عن ظلم المدينة. أما باية فقد عادت إلى بجاية مسقط رأسها. إلا أن بنعمر ظل في المدينة المحروسة تلمسان يزاول عمله في صمت ويسكن مع أهل المدينة مخبرا إياهم القصة .

3- الشخصيات الرئيسية والثانوية في رواية خطوة في الجسد :

أ. الشخصيات الرئيسية:

الشخصية الرئيسة هي "التي تدور حولها أو بها الأحداث وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى ويكون حديث الشخص الأخرى حولها ، فلا تغطي أي شخصية عليها إنما تهدف جميعا لإبراز صفاتها ومن ثمة تبرز الفكرة التي يريد الكاتب إظهارها"¹ ، فحين نسلم بالشخصية الرئيسية نعني بذلك الشخصية المحورية التي تدور على صداها الأحداث الروائية؛ إذ هي "التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسة بطل العمل دائما، ولكنها هي شخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية"²

في صلب الرواية التي بين أيدينا "خطوة في الجسد"، نجد الشخصيات الرئيسية المتمثلة في:

- شخصية يوسف:

¹ عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة 2000 م، ص 331.
² -صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2006م، ص 331.

يوسف شخصية ورقية روائية، حركت مجرى الرواية وربطت أحداثها، قد مثلت بؤرة تحرك الأحداث وفق زمكانية معينة.

قد تجلت هذه الأخيرة في مواطن عدة من الرواية، كقول الروائي: " يوسف ولد عمي المهدي الخراز...يسكن في عباد الفوقاني، كان معلما بالمدرسة التحتانية في سيدي يعقوب ولد عائلة...مربي...خاطيه هاديك التهمة"¹

"أما الذين يكرهون يوسف ولد مهدي الخراز فكانوا يضيفون إليها الوقائع الكاذبة"²

ظهرت هذه الشخصية من خلال رسائل أو مخطوطات تركها لصديقه، تمحورت مجسدة حياته وظروفه التي عاش فيها بعدما اختفى في واحات الصحراء.

صور الروائي شخصية يوسف كرجل عادي له أم توفت باكراً وتركته مع أخوه وأبوه الذي كانت بينهما علاقة متصادمة، عدوانية بعض الشيء، لا تحمل أي معنى للتفاهم.

يوسف كان معلما في الابتدائية، ابن مدينة تلمسان المحروسة، التي عاش فيها أوضاع مزرية، تمثلت في الحركة الإرهابية -العشرية السوداء- تلك الحقبة التي ترأسها الموت والخراب والصراعات.

-عاشت شخصية يوسف كذلك قصة حب شبه مستحيلة مع شخصية مختلفة، ارتطمت به كانت باحثة هي الأخرى عن وجودها الأصلي وتجدرها.

"ساعديني يا باية...خلصيني من لوعي ولغتي...من كوني هكذا غير قادر على الحياة وعلى الفرح. كوني لي الطائر الذي حط في يدي ثم نام...انسجمي من لغتك...من عشيرتك...من جينالوجيك...حتى أنسحب من جينالوجياي"³

¹ -حسين علام، رواية خطوة في الجسد، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2006م، ص 09.

² -المصدر نفسه، ص 11، 12.

³ - المصدر نفسه، ص 45.

أنهى الروائي دور هذه الشخصية "يوسف" بنهاية الرواية ، فقد صورته في آخر المطاف في الصحراء الذي اعتبرها هو؛ أي يوسف ملجأ يريح فيه باله وتلتئم فيه جرحه، وأقسم بعدم الرجوع منها.

- شخصية باية:

باية شخصية رئيسية، مثلت مدينة بجاية والارتباط التاريخي بينها وبين تلمسان، ورد ذلك من خلال قول الروائي: "أخذت بعض الخرائط وراحت تبحث في التفاصيل فتأكدت أن هذه البنت لم تأت صدفة إلى هذه المدينة، إنما هاجس ما كان وراء هذه الرحلة الخطيرة التي انتهت عندي هنا بالعباد"¹

كما ربطها الروائي بالبعد الصوفي والاعتقاد بالأضرحة المتمثلة في الأولياء الصالحين وبالأخص اهتمامها بسيدي أبي مدين شعيب .

"لما صعدنا معاً إلى سيدي أبي مدين شعيب أول مرة رجعت تسألين عن سر مجيئه ليموت هنا، فقلت لك إن الأمر تافه... حكاية حكام يخافون على ملكهم"²

وكذلك قوله: "أنت تصدقين مثل هذه الأشياء؟... لقد اختلط التاريخ بالخرافة وعليك أن لا تصدقي كل شيء"³

عاشت هي الأخرى أوضاع مزرية للبلاد؛ إذ صورها الروائي كشخصية متابعة من قبل السلطات والحركات الإرهابية. حيث لجأت للاختباء في بيت يوسف التي كانت تنشأ بينهما علاقة حب.

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد ، ص 164.

² - المصدر نفسه، ص 140.

³ - المصدر نفسه، 141.

قد تجلت نهاية الشخصية باية في الرواية بمغادرتها مدينة تلمسان وعودتها لبجاية مسقط رأسها ومدينتها العريقة. تجلى في قوله: "وباية؟- أوصلتها في اليوم التالي إلى مطار وهران لتأخذ الطائرة إلى العاصمة ومن ثمة إلى بجاية"¹.

- شخصية بنعمر:

يعد بنعمر أهم شخصية رئيسية في الرواية، حيث هو راوي قصة يوسف وباية التي دارت على لسانه من خلال المذكرات التي تركها له يوسف؛ إذ هو أحد أصدقائه المقربين.

"إني هنا منذ المساء مع هؤلاء أسمع مرة أخرى تلك الأكاذيب عن يوسف ولا أدري إن كانوا يعلمون أني أنا وحدي من يعرف الحكاية على حقيقتها وأني الوحيد الذي يحق له روايتها... لقد كلفني صاحبها بذلك... وأنا احتفظ بيومياته ورسائله. عندي في هذه المحفظة التي أحملها معي أينما ذهبت... أنا وحده من يستطيع فك خط يده..."² ويضيف قائلاً: "أنا بنعمر عبد الله بن خميس وحده من يعرف الحكاية كاملة..."³

قد صور الروائي هذه الشخصية بنعمر في بيت صديق له اعتمده كحانة سرية يشربون فيها، لأن الشرب ممنوع في الخارج بسبب الأوضاع آنذاك، ويتبادلون الأحاديث، لاسيما قصة يوسف وباية التي كانت علكة في فم كل المدينة، يرددونها كالتسايح فيما بينهم مما دفع بنعمر لقراءة مذكرات صديقه يوسف التي تعد شاهد عيان لحقيقة ما جرى. كان له دور فعال داخل النص الروائي، فهو كذلك عان ويالات ما عاشته مدينة تلمسان بصفة خاصة والجزائر عامة، وكان موت حبيبته ليلي مفصولة الرأس هي الأخرى مما أحدث عنده فراغاً نفسياً رهيباً.

¹-حسين علام رواية خطوة في الجسد، ص 277، 278.

²-المصدر نفسه، ص 17.

³-المصدر نفسه، ص 17.

- يبدو الروائي لم يركز على بطولة الشخصيات الرئيسية، بل كان لها دور سطحي، تكابد العيش وتأجل القتل، تزاو أيامها بصفة عادية دون حركة تنبض بالتغيير والمغامرة.

ب. الشخصيات الثانوية:

الشخصية الثانوية هي شخصية مساعدة للشخصية الرئيسية لصناعة العمل الروائي وسير الأحداث؛ إذ تعد مكملة لها، "فلا يمكن أن تكون الشخصية المركزية في العمل الروائي إلا بفضل الشخصيات الثانوية التي ما كان لها أن تكون، هي أيضا لولا الشخصيات العديمة الاعتبار فكما أن الفقراء هم الذين يصنعون مجد الأغنياء فكان الأمر كذلك ها هنا"¹

وتعد الشخصية الثانوية هي "التي تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية، أو تكون أمنية سرها فتبيح لها الأسرار التي يطلع عليها القارئ"² بمعنى أن الروائي حين يصطنع شخصيات ثانوية لم يكن ذلك عبثا، ولا بمحض الصدفة، إنما ليرز دور الشخصية الرئيسية وتخدمها لتسير الأحداث وفق المجرى الذي رسمه الروائي للقصة. كما تكون بمثل أرقام الشفرة التي تشكل كلمة السر التي يخفيها الروائي كفراغ للقارئ ليستنبطه.

قد تحلت الشخصيات الثانوية في الرواية التي بين أيدينا "خطوة في الجسد" في:

- شخصية المهدي الخزاز "الأب":

هي شخصية ثانوية، أوردتها الروائي لتخدم الشخصية الرئيسية يوسف؛ إذ أنها مثلت شخصية الأب الصارم، المشبعة بالصرامة والتعصب والسلطة، ولا تعمل أي شكل من أشكال التفاهم.

¹-عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية -بحث في تقنيات الكتابة الروائية-، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 133.

²-عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 135.

"حكايته مع أبيك يا يوسف سجن... وسيطبق عليك هذا السجن وستتعفن فيه إن لم تتخلص من هذه الأوهام"¹، ويضيف قائلاً: "وما دخلي أنا إن كان الأب صانعاً لهذا الخراب كله. أنا هي أنا... ولا أسمح لأي كان أن يصنعني كما يريد..."²

لم يكن دور الأب جلي في الرواية فقط جاء ليفصح عن علاقة الأب بالابن في هذه الآونة التي نعيشها، تلك العلاقة التي تتميز التوتر والتصادم.

- شخصية الأم:

شخصية الأم في الرواية لم يكن لها صدى داخل الرواية، فرمما أدرجها الروائي فقط لأهمية الأم في حياة الإنسان، وعلاقتها الحميمة مع أبنائها، كما لتعرف بالشخصية الرئيسية المتمثلة في يوسف.

ورد في قول الروائي على لسان الشخصية يوسف: "إني أتكوم هنا، في فراشي منذ الساعات الأولى للفجر. أنغطي "بالبورابح" الصوفي الأبيض... رائحة الخيط النسيج جديدة لا تزال فيه، والصفوف لا يزال براقاً، فأمي ندفته وبعثت به إلى النساج قبل أن تموت. كانت تجتهد منذ صغرنا في أن تضع لكل واحد منا أغطيته الشتائية الخاصة. فهي تعرف أن هذه المدينة باردة. وتقول: إنها الهالكة... المهلكة"³

- الشخصية يحيى:

يحيى هو أخ يوسف، تبدو هذه الشخصية تعيش في عالمها الخاص، انطوائية، متألمة ووحيدة.

¹-حسين علام، خطوة في الجسد، ص 37.

²-المصدر نفسه، ص 37.

³-المصدر نفسه، ص 31.

"يظل يحكي هكذا أمام النار بالساعات. صامتاً لا يتكلم، يخرج منه ذلك الصوت، يهتز

جيفة وذهاباً، يهدد ويدوزنها على إيقاع تلك الدهشة الغريبة أمام النار"¹

يصور الروائي شخصية يحيى ضحية الجرائم التي ارتكبت في حقه ، وكذا الانهيار العاطفي

الذي تعرض له، قد صوره شخصية معقدة في صمت دوماً إلا أن داخلها يحترق بما عانته من ظلم مما

أصابه الجنون "لكن أخي سرق مني الجنون، هذا ما أقوله دوماً، فلماذا سرقتني مني يا أخي؟ قد كنت

أريده لي وحدي"²

ما كان لشخصية يحيى وجود إلا من باب تجسيد المعاناة النفسية التي عاشتها الشخصيات

في خضم المعاناة المعنوية والمادية.

- شخصية الخالة زهرة:

الخالة زهرة هي خالة يوسف، أوردتها الروائي متمثلة في دور الأم، تبدو شخصية قوية

وجميلة، متشبع بالتقاليد والأصالة.

"خالتي الزهرة بيضاء كعمود الثلج، قوية الجسم بلباسها الأبيض الناصع من العشعاشي الذي

تحب لبسه على الرغم من قدمه، لا تزال متمسكة به، ولا تزال تحافظ على لبس الحايك الذي تلف

به خصرها كلما خرجت من بيتها"³، إنها شخصية متمردة تفعل ما تريد وتصمم على ما تريد، على

حد تعبير الروائي فحلة توضح ذلك في قوله: "تقول عنها أنها فحلة... تفكر كما تريد، تفعل ما تريد،

إذ ما تصورت أنه صحيح"⁴

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد ، ص54.

² -المصدر نفسه، ص 58.

³ -المصدر نفسه، ص 70.

⁴ - المصدر نفسه،ص70.

عانت الألم والضرب والتعذيب من إخوتها وأبيها حينما كانت تحاول الالتقاء بالرجل الذي أحببت وبالرغم من ذلك تحملت وتزوجته عنوة.

إن الخالة زهرة رمز المرأة التلمسانية بصفة خاصة والجزائرية بصفة عامة، أوردت لتفصح عن معاناتها، وكيفية عيشها. كذلك كان وجودها في الرواية لتبرز الشخصية الرئيسية يوسف أكثر وتزيل عنه الغموض.

- شخصية حسان الداودي:

إنها شخصية تمثل فئة من الشعب، أحد المقيمين في مدينة تلمسان، الذين عاشوا أحداثها، كان لوقوعها حضوراً مميزاً. صوره الروائي بأنه شخصية هادئة تلاحظ في صمت ما يجري حولها. كان يملك بيتاً يجتمع به السكارى، كان عبارة عن حانة سرية.

"كان هؤلاء السكارى في بيت عمي حسان داودي يتلمضون هذه الحكاية ويمتصون ما تبقى فيها من الحياة"¹

لم يكن له وجود جلي أو عمل مهم بل ليعبر من خلاله الروائي عن فئات الناس وكيفية عيشهم. إنه يصور مشاهد حياتية اجتماعية واقعية، لذا فلا بد من الإشارة كل الفئات.

- شخصية الجيلالي الرونكو:

شخصية الجيلالي شخصية ربطها الروائي بمهنة الكياسة، معظم أوقاته في الحمام، اشتهر في الرواية بلباسه البلومارساي.

"يعمل الرونكو كياساً في الحمام. ولا يعرف حرفة أخرى غير قراءة الجرائد بنهم"²

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 16.

² - المصدر نفسه، ص 23.

شخصية الجيلالي بحكم مهنته في الحمام الذي يترددون إليه الناس، من كل الفئات العمرية ومن كل الطبقات الاجتماعية من مدنيين وشرطة وعساكر وسياسيين وغيرهم، فهو يعرف كل أخبارهم وأسرارهم. إذ أنه يعرف وجوههم الحقيقية.

"كان الرونكو يعرف من الناس أشياء مذهلة. لو أنه تكلم في أسرار الحمام لفضحهم

جميعاً"¹

- شخصية حميدو الواسيني:

بزغت هذه الشخصية كشخصية مساعدة، ربطها الروائي بصفة التمريض، حيث وصفه بأنه كان ينتقل من قرية إلى قرية من أجل معالجة الناس، وقد صورته على أنه شخصية هادئة لا تحب الكلام، وكذلك كونه ضعيف البنية، ذلك جلي في قوله: "حميدو الواسيني الممرض الذي أمضى عمره كلّه في المستوصفات خارج المدينة. كان ينتقل من قرية إلى قرية في أحواز تلمسان. الرجل نحيل إلى درجة المرض، بشعره الأكرد وهيئته الوسخة، حميدو لا يحب الكلام"²، كان جديراً بالاحترام والتقدير من قبل الفلاحين والناس لأنهم كانوا ينظرون إلى مهنة التمريض وجه من وجوه الحكومة.

- إنّ وقع الشخصيات الثانوية في الرواية لم يكن ذا شأن كبير، لم تكن له أهمية فقط جاءت لتساعد الشخصيات الرئيسية من جهة، ولتجسيد الحياة الطبيعية ليشعر القارئ أمام لوحة ملموسة ينظر إلى زواياها بسلاسة.

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 23.

² - المصدر نفسه، ص 19.

الفصل الثالث

دلالة المكان في رواية "خطوة في الجسد" لحسين

علام

المبحث الأول: الأماكن المغلقة

المبحث الثاني: الأماكن المفتوحة

يلعب المكان دورا حيويا في الرواية الغربية والعربية على حد سواء. فالأمكنة "بالإضافة إلى اختلافها من حيث طباعها و نوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاته أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع و الضيق أو الانفتاح ، و الانغلاق ؛ فالمنزل ليس هو الميدان و الزنزانة ليست هي الغرفة لان الزنزانة ليست مفتوحة دائما على العالم الخارجي بخلاف الغرفة فهي دائما مفتوحة على المنزل و المنزل على الشارع...."¹، فهذه الأشياء تعد المادة الخام للروائي لصياغة عالمه الحكائي؛ مما يجعل المكان يحتل المرتبة الذهبية في الرواية ؛ إذ يعتبر من أهم العناصر في العمل الروائي ، ذلك انه يقوم بدور فعال في بنائها و دلالاتها و تركيبها فمنه تنطلق الأحداث و فيه تسير الشخصيات .

المكان المرهون بالعمل الفني " الرواية " يعد حلقة تربط بين أساسياتها. كما يأتي معبرا عن القيمة الإنسانية، بحيث يؤثر في نفسية الأشخاص التي ترتاده. فقد اعتبر غاستون باشلار أن: " المكان الذي يجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان قد عاش فيه البشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، وأنا ننجذب نحوه لأنه يكتف الوجود في حدود تتسم بالحماية. في كل الصور، لا تكون العلاقات متبادلة من الخارج والألفة متوازية"²

-انطلاقا من هذا سأحاول في هذا الفصل دراسة الدلالة المكانية في رواية " خطوة في الجسد "، وذلك من خلال رصد الأمكنة الموجودة فيها واستنباط دلالتها.

ومن هنا يمكن أن نميز نوعين من الأمكنة في الرواية هي:

الأماكن المغلقة والاماكن المفتوحة.

¹ -حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.

² -غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا، المؤسسة الجامعية لدار النشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987م، ص31.

المبحث الأول: "الأماكن المغلقة"

على حد تعبير أوريدة عبود الأمكنة المغلقة "تمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي ، و يكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح ، فقد الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج ، و قد تكون مطلوبة لأنها الملجأ و الحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة " ¹ بمعنى أن الأماكن المغلقة تؤدي دورا محوريا لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية، إذ إن الانغلاق لهاته الأخيرة في مكان واحد و عدم قدرتها على التفاعل مع العالم الخارجي يجعلها تلجأ إلى هاته الأماكن التي تعتبر ملجأها الوحيد المليء بالأفكار والذكريات والآمال وحتى الخوف.

من بين الأماكن المغلقة في رواية "خطوة في الجسد" نجد:

- الحمام
- الكوميسارية
- الدار، المنزل، والبيت
- المسجد
- الحانوت
- الغرفة
- السجن
- المدرسة

¹-أوريدا عبود، المكان في القصة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس نائرة لعبد الله ركيبي)، دار الأمل للنشر و التوزيع، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص

- الفرن
- المستشفى والمستوصف
- الأضرحة

1- دلالة الأماكن المغلقة:

أ. الحمام:

لقد تعامل الروائي مع المكان بوعي كبير، ووظفه بطريقة شيقة، تسيل لعاب القارئ؛ إذ انه يوحي له بأن ما يمر عليه أثناء القراءة شيء حقيقي ومنطقي ومنها ذكره للحمام في روايته تجلى ذلك في عدة صفحات من عمله الفني.

فالحمام يوحي في العادة إلى الاستحمام والاستراحة، كما انه مكان يلجأ الناس له للاستحمام بشكل جماعي أو فردي ويعد كذلك مركزا للتجمع. أما في الرواية ورد مرتبطا بشخصية " الجيلالي الرونكو " فهو يعمل كياسا في الحمام. " أنت صحيح ولد البلاد لكنك ساكن دائما في الحمام ... " ¹ " يعمل الرونكو كياسا في الحمام ولا يعرف حرفة أخرى غير قراءة الجرائد بينهم ... وهو يشتغل بالحمام مند سنين ... قضى معظم حياته هناك " ²، كما ورد انه مكان يجتمع فيه الناس و يفصحون عن أسرارهم بفعل الحديث المتبادل بينهم، و كأن الروائي يريد أن يقول أن أهل تلمسان لم يجدوا مكانا ليفصحوا فيه عن خبايا أنفسهم إلا الحمام، الذي يعد الملجأ الوحيد الذي كانوا يتجهون إليه ويخرجون فيه ما يختلج في صدورهم، و يتبادلون الأحاديث فيما بينهم . " كان الرونكو يعرف عن الناس أشياء مذهلة. لو انه تكلم في أسرار الحمام لفضحهم جميعا " ³

¹-حسين علام، رواية خطوة في الجسد، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2006م، ص 9 .

²-المصدر نفسه ص 23.

³-المصدر نفسه ص 23.

تجلت دلالة الحمام كذلك في كونه المكان المغلق المذاع للأسرار، فبداخله تجمعت أصناف من البشر وتشعبت أنواعهم؛ إذ حمل بداخله الطيب و الخائن و السارق و الحكومة و العسكر والشرطة، و تجلت داخله كذلك الطبقات العمرية، شباب و أطفال و الشيوخ و الكهول ... فبذلك كل زاوية فيه تحمل صفة من صفات هؤلاء و تعرف نبرات أصواتهم و تحفظ نظراتهم مما يدل على ترددهم عليه بكثرة.

" انه الحمام ... يجمع كل الأصناف والأعمار وجميع أنواع البشر من الفقراء والأغنياء ... من اللصوص والإطارات من الحكومة إلى أولئك الذين هم ضد الحكومة الكل كان يدخل الحمام ويتخرج على يد الجيلالي الرونكو"¹

يظهر الحمام في رواية " خطوة في الجسد " كورقة سوداء لها أن تدين صاحبها فهو يحمل في فضائه و زواياه، خصوصية جليلة للناس و أعمالهم الشنيعة، و يعد من الأماكن الشديدة الخصوصية و الشديدة الانتماء إلى عالم الشخصية النفسي و الاجتماعي، فهو من الأماكن الخاصة التي لا تبوح بتفاصيلها إلى خارج الذات و خارج الرواية في آن واحد.

ب. الكوميسارية:

هذه اللفظة هي مصطلح فرنسي، متداول في لهجتنا الجزائرية. تعني محافظة الشرطة أو الأمن العام. الكوميسارية مكان مغلق يدل من جهة على تحقيق الأمن والاحوف والاستقرار للمواطن، من جهة أخرى تدل على التعسف والذل و الاهانة.

لم يهتم الروائي بتقديم الكوميسارية ووصفها طبوغرافيا، ورسم حدودها ومعالمها وإنما ركز اهتمامه على معاني الإهمال والتخلي عن دورها من كل النواحي لم يذكرها الروائي بشكل جلي في روايته بل أعطاها دور الهامش لا المركز، بالرغم من أن في الحالة التي طرح فيها الموضوع الروائي وجب

¹ -حسين علام، خطوة في الجسد، ص24.

أن يكون لها الدور الأساس وتكون مركز الثقل فنحن نتحدث عن عملية قتل، عن خوف، عن سلب حقوق، عن اضطهاد وطن، عن غياب الاستقلالية، نحن نتحدث عن مرحلة حرجة.

قد تعمد الروائي ذلك ليزيل عنها القناع، فالكوميسارية كان مكانا مهما في الرواية لتخليها عن دورها واهتمامها بالتفاهة والأمور السطحية والخاصة كما ورد في قوله: " قالوا أدخله أخوها إلى الكوميسارية. وقال له: أنت يا الكلب ... ابن الكلب حاسب روحك مثقف وتعرف التاريخ ... سأريك يا مثقف أن أتلهى بصنابك. قلت لك اخطي أختي ... ابتعد عنها خير لك ... بصح أنت تلعبها فاهم"¹

كما تدل الكوميسارية على الخيبة، أظهرها الروائي بلا دور فهي لم تحقق الأمن في منطقة تلمسان وكأنه يريد أن يقول أن لها دورا في العمليات الإرهابية بشكل غير مباشر.

" لما كان الشتاء قائما لا يتزحزح، عند الصباح اكتشفوا و هم يخرجون إلى أعمالهم جثت امرأة مفصولة الرأس عن الجسد ... على بعد خطوات قليلة من دار الكوميسارية ظلوا مذعورين يومها طول النهار لما رأوا بركة الدماء السوداء التي تغرق فيها الفتاة."²

كأن الروائي يحاول إعطاء إشارة للقارئ و يدعوه إلى اليقظة والتفطن في القراءة و الاستنباط دلالة مكان الكوميسارية التي يقصدها، فهنا يحاول التصريح بالجرأة التي دفعت القتل بوضع الجثة قرب دار الكوميسارية . فلو كان لها دور الحماية و الحراسة و التفطن و القوة لما حدث الذي حدث، كان القاتل يتحدى محافظة الشرطة لإدراكه بعجزها المتعمد ولا مبالاتها. فدوما هناك جانبا خفيا يتركه الروائي للقراء حتى يزيلون الإبهام عنه.

¹-حسين علام، خطوة في الجسد، ص9.

²-المصدر نفسه، ص22.

ما يؤكد كذلك ما قلنا سابقا قوله: " كان في سكوتها طمأنينة وهي بعصبتها السوداء على رأسها ملئ بتصوير الزهور الصفراء. قالت دون أن تلتفت إليه: لقد وجدوا ابنتنا مذبوحة قرب الكوميسارية هذا الصباح..."¹

ج. الدار المنزل، البيت:

لقد اعتمد الروائي في روايته مكان البيت بمصطلحات متنوعة حيث أوردته مرة باسم الدار، ومرة بالمنزل، ومرة بالبيت.

" لأنه عندما يجيوك للدار، ويقلبوها سافيتها على عافيتها..."²

" كنت أريد أن أكلم أخي بجديّة في هذه الأمور التي تحدث في البيت عن أصدقاء الصدفة هؤلاء...."³

"هذه الدار قبر ... البيت الذي ما فيه امرأة قبر، أبوك من أراد أن يتزوج وأنتما هاملين"⁴

مدينتكم في الثلج خاليا تماما...ربما يفضل الناس البقاء في منزلهم بدلا من الخروج إلى المطاعم والمقاهي مع أن الأجواء نادرة"⁵

كما لاحظت تعدد المصطلحات في خضم الرواية والمعنى واحد فالبيت هو الدار هو المنزل. فالبيت يمثل الرحم الأول للإنسان، بيت الطفولة الذي نستقبل طفولتنا ونكون شخصيتنا فيه، انه المكان الذي يؤمن الاستقرار والسكينة والذكريات.

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص122.

² - المصدر نفسه، ص10.

³ - المصدر نفسه ص66.

⁴ - المصدر نفسه ص67.

⁵ - المصدر نفسه، ص42.

"البيوت هي الأماكن المغلقة في النصوص الروائية لأنها جزء من الدلالات المختلفة التي يمكن أن يحملها النص من ناحية، ومن ناحية أخرى تشكل بعدا فنيا خالصا"¹. كما أنها ترتبط عادةً بثنائية الاسترجاع والاستباق لدى الشخصية فهي تمثل زمن الطفولة والصبا والذكريات الحلوة والمرّة فكل زاوية من البيت تحكي قصة.

البيت راحة ونعيم واحتواء واستقرار؛ إذ أنه بالنسبة للشخصية الروائية موطن للتفكير وتقويم للذات باعتبار أنه مكان مغلق بعيد عن صخب الحياة وصراعات الخارج. يقال: "تبات البيوت فينا ولسنا نحن الذين نبات فيها؛ بمعنى أنها منذ الطفولة وحتى الوقت الحاضر تحتوي شخصياتنا ومشاعرنا وأحلامنا وأفكارنا"²

لقد تنوعت دلالات صيغة البيت في الرواية حيث أعطاهم الروائي الأهمية في مواطن وصاغها في مواطن أخرى لتناسب سياق الكلام وليستقيم الوصف. فمثلا حين وصف يوسف الخزاز حالته قائلاً: "ولا تزال تحافظ على لبس الحايك الذي تلف به خصرها كلما خرجت من بيتها"³ كذلك وردت لفظة البيت لتعبر عن شخصية حسان ساعي البريد باعتباره على معرفة تامة بأهل المدينة كلها. "يعرف حسان جميع أهل المنطقة، بيتا بيتا، دربا دربا..."⁴

نجد دلالة البيت تغيرت لتعبر عن الهروب من الوحدة والإرهاق الذي اعتريا شخصية بنعمر في الشوارع التي ملأها الرعب والبرد والهدوء الذي كان سببه الخوف من الموت. "كان متجمدا من البرد فنام من التعب، وقبل الفجر استيقظ ليعود إلى البيت، لم يكن خائفا بل كان وحيدا ومرهقا بشكل فضيع، مثل رجل يعود من حرب خاضها مع أشباحتها"⁵. هنا يعد المكان -"البيت"- الملاذ

¹-خليفة قرطبي، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1995م، ص 217.

²-ياسين نصير، الرواية والمكان، (دراسة المكان الروائي)، دار نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، (د.ت)، ص 175، 176.

³-حسين علام، خطوة في الجسد، ص 70.

⁴-المصدر نفسه، ص 75.

⁵-المصدر نفسه، ص 120.

والمملجاً الوحيد الذي يختبأ فيه من شبح الوحدة ويرتاح فيه من الإرهاق النفسي الفظيع وذلك لارتباط البيت بالإنسان ارتباطاً وثيقاً حيث يشعره بذاته ويحقق له الأمن ويزيل عنه الخوف.

وفي موطن آخر جاءت دلالة البيت مستهدفة الوصف الطبيعي؛ إذ أشار الراوي إلى طبيعة البيوت في بودغن والرياض حيث أنها مبنية من الحجر، هنا يحاول أن يصور لنا المكان بصورة حقيقية ملموسة؛ إذ يعبر قائلاً: "تعثرت قليلاً في طريقي إلى بيت صديقي لأن قنوات الصرف المياه القدرة كانت على سطح الأرض بارزة، فالبيوت هنا مبنية من الحجر الصلب الذي يستحيل حفره، كان أهل بودغن والرياض يسكنون الصخر، يحفرونه وسيكون في أماكن لا يمكن أن تنبت فيها الأمنيات"¹ رسالة واضحة تحمل معاني الحاجة والقهر وكبت الأمنيات.

قد ذكر أيضاً الروائي بيت أحد الشخصيات "عمي حسان الداودي" الذي كان يعد بيتاً يجمع فيه السكرى ليتبادلون الأحاديث فيما بينهم ويرددوا قصة باية ويوسف الخراز ويشربون هناك لأنه ممنوع في الشوارع بدافع الخوف من القتل. "كان هؤلاء السكرى في بيت عمي حسان الداودي يتلمضون هذه الحكاية ويمتصون ما تبقى فيها من الحياة، بل يتضحكون في عته السكر ووقاحته من خوفهم من كل شيء... من أية حركة خارج البيت المغلق الأبواب والنوافذ"²

إذا يعد البيت في الرواية التي بين أيدينا مكاناً هاماً، تنتجها الكتابة وفق رؤية فكرية وجمالية يتبناها المبدع.

د. المسجد:

يسمى بيت الله تبارك وتعالى وهو أحب البقاع إليه، وفي هذا دلالة على قدسية المسجد ونزاهته، وأن من يدخله لا بد أن يجعل عمله خالصاً لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له قال الله

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 143.

² المصدر نفسه، ص 16.

تعالى: " وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا" (الجن الآية 18) فلا شك أن للمساجد أهمية عظيمة، ومكانة سامية في المجتمع المسلم، هذا أمر لا يخفى على الجميع. فما نحاول مناقشته الآن هو دلالة المسجد في العمل الفني الأدبي لا سيما الرواية التي بين أيدينا "خطوة في الجسد".

فمما لا شك فيه أن المساجد تعد مكانا دينيا للتربية السلوكية والروحية والدينية، مكانا لأداء الصلاة والقيام بالعبادات ... لكنه لم يعد كذلك فقط بل أصبح في الرواية مكانا للمناقشات والمناوشات كذلك. "يتداولها الناس في المقاهي والمحطات والمساجد والساحات ... في الدروب والأرصفة"¹ يقصد حكاية يوسف وباية التي انتشرت في كل المنطقة، بحد تعبيره جرت على كل لسان كما تجري النار في التبن، كأن المسجد تساوى مع الأماكن الأخرى في الثثرة ونقل الأحاديث، كأنه أصبح هباء منثورا.

وجاء في سياق آخر "وهذا المدرس قد عدل عن رغبته في السفر وتزوج إحدى قريباته وبقي إلى جانب والده يلازمه في كل الصلوات بالمسجد... يأذن أحيانا ويعلم القرآن للأطفال أحيانا ويسكر أحيانا... كلما وافته الفرصة"²

دلالة على أن المسجد أضحي مكانا عاديا، قد حرفوا قدسيته. يبدو الروائي متهكما بطريقة غير ظاهرة، ليفصح عن الحالة التي وصلنا إليها، الروائي أورد كلمة المسجد ليعبر عن شخصية "سليمان ولد لفقيره" التي توحى بالنفاق.

يقول في موضع آخر: "بعد قليل سأسمع أذان الفجر من الجامع القريب. وعلي أن أبقى في مكاني لأن أبي سيقوم إلى كانونه حيث ترك البارحة دلو الماء الحديدي حتى يجده دافئا عند الصباح

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 11.

² - المصدر نفسه، ص 21.

كعادته¹

" لكنه اليوم يتوضأ وحده وسيذهب إلى المسجد وحده"²

فيه إشارة إلى انصراف الشباب عن المساجد والنفور من العبادات وكأن الأمر اقتصر على كبار السن فقط.

هـ. الحانوت:

الحانوت هو المكان الذي يتردد إليه الناس لاقتناء حاجاتهم من مستلزمات وأغذية. لم يحض هذا الأخير في الرواية بالمركزية بالشأن الكبير. ذكر فقط من باب وصف حالة المدينة التي تعاني الرعب والخوف وكانت ملزومة بحظر التجوال وحالة الطقس البارد من جهة أخرى.

"وأغلقت الحوانيت لأن الخروج قل وتوقفت السيارات وغدة المدينة ساكنة كالحقل"³.

الحوانيت دلالة على وجود حركة، وجود مدينة صخبية، وجود ناس مستلزمات ذكر في القول أنها أغلقت ليعبر الروائي عن الهدوء الذي أضحي في المدينة ويجسد حالة الطقس الباردة فالثلوج كست المدينة بجلتها البيضاء فأصبحت الشوارع زلقة ذلك ما حجب الناس عن المدينة. "تأتيهم روائح الحامي -"أكلة شعبية"- من الحوانيت الصغيرة حولهم فتجعلهم يجوعون بسرعة"⁴.

لم تكن دلالة الحانوت في الرواية ذات معاني عميقة ولم يقصد بها الروائي أبعادا أخرى جاءت فقط معبرة عن حالة الشخصية في الرواية.

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص33.

² -المصدر نفسه، ص33.

³ - المصدر نفسه، ص41.

⁴ -المصدر نفسه، ص78.

و. الغرفة:

تعد الغرفة من الأماكن المغلقة التي مهما جرى الحديث عنها ومهما قيل في خصائصها وتركيبها، لا نستطيع الكشف عن بنيتها الجمالية، إنه مكان يتصف بالخصوصية "فهى بقعة فوق الأرض تحجب النور، وتضعه، وتجعل لباحتها الصغيرة إمكانية تعويضية عن الفضاء السمح الأول المتجدد، واستطاع الإنسان بخبرته وحاجاته وتعدد أزمته وتعاقبها أن يوطن نفسه السكن فيها.

فالغرف في تكوينها الفكري حاجات لا بديل لها، تصبح غطاء للإنسان، يدخلها فيدخل جزء من ملبسه، ويدخلها ليرتدي جزءا آخر، وعندما يألفها يتحرك بحرية أكثر. وإذا ما اطمئن تماسكها بدأ بالتعري فيها التعري الجسدي والفكري، لكن عندما يخرج منها يعيد تماسكه ويبدو كما لو أنه خرج من تحت غطاء خاص".¹

وفي رواية خطوة في الجسد وجدنا مصطلح غرفة لم يخرج عن دوره الحقيقي بنظر الإنسان إذ أن الروائي ذكرها بشكل عادي مألوف. "بت مستيقظا وحدي في غرفة أستعيد لقائي مع بنعمر هذا المساء... ذلك الذي جعلني أتأخر. كنت قد افتقدته وسمعت عنه تلك الأخبار السيئة"²

"كان بنعمر في غرفته لما فتحت لي جدته الباب الحديدي الذي عاد إلى مكانه"³

كما لاحظنا لم يكن يحمل دلالات مغايرة لما نألفه سابقا؛ إذ أنها تمثل مكان الخلوة والحرية الفردية. ويظهر ذلك أيضا في قوله: "وكنت مثقلا بالكلام الذي لم أقله لباية. فأنا لا ألتقيها إلا على مائدة الطعام ليلا. تغلق على نفسها الغرفة وتنتظر أن تأتيها خالتي زهرة لتبيت معها أو أمينة أحيانا"⁴

¹-ياسين نصير، "الرواية والمكان" (دراسة المكان الروائي)، ص 94.

²- حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص142.

³-المصدر نفسه، ص 143.

⁴-المصدر نفسه، ص 162.

ز. السجن:

يعد السجن مكانا مغلقا يجبر الإنسان على الإقامة فيه، هو بذاته يشكل عالما مناقضا لعالم الحرية ينتقل إليه الأشخاص مجبرين؛ إذ أنه يشكل مرحلة العذاب والتقييد لحركة الأشخاص وحريتهم. يمثل رمز القهر الاضطهاد والتعسف، وسلب الحريات. يعرف على أنه "نقطة انتقال من الداخل إلى الخارج، ومن العالم إلى الذات، بالنسبة للنزول، بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات، وإثقال لكاهله بالالتزامات والمحظورات"¹

نجد كلمة السجن واردة في الرواية، لكنها لم تكن بالشكل الواسع والوصف الشافي للغليل، وكأن الروائي لم يهمنه السجن الذي يعد مكان الإقامة الجبرية ولم يعدد معاناته لأنه لا يساوي شيئا مقابل السجن النفسي الذي عاشه التلمسانيون بصف خاصة والجزائريون بصف عامة؛ حيث كانت كل الأماكن سجنا حتى الترفيحية منها.

يقول الروائي على لسان يوسف: "تلك القتلة الأولى أما الثانية فكانت لما دخلت السجن من أجل جرم لم ارتكبه فتحملت تأويل الخراب الذي كان يترصد بالناس"²

السجن هنا لا يدل على مكان حقيقي، ولا ظلم ولا تعسف وسلب الحرية، بل يدل على حرب نفسية خاضتها الشخصية "يوسف ولد الخراز" بسبب الآلام والظروف التي مر بها والخذلان، مستحضرا الروائي قصة سيدنا يوسف الصديق عليه السلام وهو في السجن بسبب جرم لم يقترفه بل كيدا كان.

¹ -حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، ص 55.

² - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 168.

السجن في حقيقة الأمر مكان صعب لا يترك المجال للراحة، انه جحيم في حد ذاته، مجرد السجن من ابسط ممتلكاته الشخصية ويقتل روحه، ويعذبه نفسيا وجسديا، ويسعى إلى تغيير طباعه. يشير ميشال فوكو الى دوره قائلا: " يركز دوره المفترض، أو المطلوب كجهاز لتغيير الأفراد"¹

لكن في نظر الروائي كان السجن الجبري؛ أي المكان الحقيقي ألطف وأرحم وذلك سيتضح من خلال تعبيره قائلا: " قد تقول: إن السجن غيرك. أقول: كنت قد تغيرت قبل ذلك. قبل ذلك كان الطوفان. أما السجن فلم يكن شيء ذا بال، لأن هناك في حقيقة الأمر سجون أخرى يجب أن نكتشفها قبل أن نطلب الحرية إنها أكثر رعبا، وهي العائق الحقيقي. لا بد أنك تعرفها ... إنها تلك التي نسكنها... أما سجون الحكام والعسكر فلا معنى لها. فهناك سجون أعمق. وهي التي ترعى الأحداث فينا"²

فبالرغم من أن شخصية يوسف عاش في السجن ودخوله كان ظلما وعانى فيه لكنه لم يعر ذلك الألم اهتماما لأنه يعتبر كل يوم عاشه خارج السجن هو سجن لأن الظروف المعاشة آنذاك، والظلم والتعسف الخارجي هو سجن أكثر قيدا وألما واضطهادا من السجن الحكومي والعسكري.

ح . المدرسة:

تعد المدرسة من الأماكن المغلقة المعروف بأنها البيت الثاني للطالب؛ إذ تعد كذلك من أهم المؤسسات في المجتمع. تعمل هذه الأخيرة على تزويده بالمعلومات وإكساب الطلبة المهارات المتنوعة، وتساعدهم على التكيف مع المجتمع ومتطلباته المتجددة والمتغيرة، كما تسعى إلى إكساب الأخلاق الحميدة والقيم. لكن قد تخرج عن معناها وتحمل دلالات عدة في الأعمال الروائية. ما يهمننا دلالة المدرسة في رواية خطوة في الجسد، لكن ما وجدناه انه لم يكن لها وجودا ملموسا داخل الرواية، فقد

¹ ميشال فوكو، المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة علي مقداد، مركز الاتحاد القومي، بيروت، (د.ط)، 1990م، ص 236.

² -حسين علام، خطوة في الجسد، ص 199.

ذكرها الروائي وكأنها يحاول أن يلمح لنا بان الأوضاع المساوية تحمي معها الأمور الثمينة كالمدراس التي لم يعد لها اهتمام يذكر وطلابها أصبحوا ينجزون الأعمال بحكم العادة لا أكثر.

" كان الأطفال في المدرسة منشغلون عني هم أيضا بكوايبسهم و كوايبس أمهاتهم وآبائهم. وهذه الدروس التي أعطيتها لهم يتلقونها بحكم العادة فقط. عادة الجلوس وعادة وجود المعلم"¹

لم يكن تركيز الروائي على المدرسة في روايته ولم يحملها رسالة، ولم يمثل دورها حتى، فقط أوردتها لتعبر عن الشخصية ولا سيما شخصية يوسف، واصفا الأوضاع المساوية.

ط. القرن:

القرن كما هو معروف، مكان مغلق يخبز فيه الخبز، يحمل دلالة الدفء والرزق والخيرات. إذ وجدناه في الرواية معبرا عن مهنة عريقة متوارثة في مدينة تلمسان ... ربطها الروائي بشخصية حسان الذي مات والده وترك له القرن فأخذ مهنة الوالد، حيث أضحت رائحة الخبز ترافقه في كل مكان.

" عاد حسان إلى مهنة أبيه لما مات وترك له القرن القديم الذي لا يزال يشتغل بالحطب فراح يلازمه لا يخرج منه إلا لقضاء حاجته وراحت راحة الخبز تصاحبه أينما ذهب. كان يجب " البلومارسي"

ولا يضع على جلده في القرن سوى قميصه الأبيض الناصع"²

لم يذكر الروائي القرن كثيرا في روايته، ما كان موضعه إلا ليجعل الشخصية أكثر حركة، وليعقد مع القارئ ميثاقا ضمينا ويجعله يعيش القصة، فيحس أن الأمر يمثل أمامه، كأنه في نفس زمن الرواية. فربط المكان بالشخصية أمر هام؛ إذ أن ذلك يؤثر في الجمهور القراء مما يجعل المقروء ملموسا.

¹ - حسين علام، خطوة في الجسد، ص 220.

² - المصدر نفسه، ص 75، 76.

ي. المستشفى والمستوصف:

يعد المستشفى مكانا مغلقا للاستشفاء والإسعافات، يعج بالأطباء والمرضى، يجهز فيه مختلف الأدوية. إذ "يتخذ في الواقع شكل مكان للعلاج، لا يركن بزواره المؤقتين يأتيه من أماكن مختلفة بحثا عن الشفاء ثم يغادرونه، يعيش حركة تجعله مكان انتقال مفتوح على الناس"¹ قد ورد في الرواية كمجرد إشارة له فقط وليصف معاناة الشخصية لجعلها حقيقية معروفة لدى القارئ.

"عرفت باية ذلك كله عندما فقدت أباه. حدثني عنه في لقاءتنا الأولى. كانت عيناها تلمع عندما تتذكر. قالت إنها ظلت أياما وأياما بالمستشفى حارسة لمرضه"² كما ذكرت كلمة المستوصفات مرتبطة بالشخصية "حميدو" وما كانت دلالة هذه الأخيرة إلا لتزييل الغبار عن الشخصية وتعرف بها وتشيد بمناقبها.

"كان حميدو يأخذ البيض وزيت الزيتون وأحيانا بعض العسل أجرة على عمله من العجائز، خاصة عندما يتفضل ويتنقل إلى بيوت المريضات غير القادرات على الخروج إلى المستوصف. لم تكن المستوصفات بالنسبة له إلا مراكز العبور فمرة هنا ومرة هناك يستزق ممن يؤدي لهم خدمة يعدها فضلا من عنده."³

ك. الأضرحة:

هي أمكنة مغلقة يدفن فيها الميت... فالضريح هو بناء معماري فوق قبر الخاصة تخليدا لهم مثل الأهرام أو الأضرحة الموسومون بالأولياء الصالحين. فالأضرحة في العمل الأدبي لها معاني

¹ - حبيبة الشريف، بنية الخطاب الروائي "دراسة في روايات نجيب الكيلاني"، عالم الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، 2010م، ص 238.

² - حسين علام، خطوة في الجسد، ص 19.

³ - المصدر نفسه، ص 20.

ودلالات لا تقتصر على المفهوم العام فحسب بل تعد سنة اعتيادية ثقافية مهيمنة كثيرا على السلوك الديني والمرجعية الدينية والثقافية لدى أفراد المجتمع.

في الرواية التي بين أيدينا، قد ذكرت كلمة الضريح في عدة مواطن "فلتغير الموضوع يا يوسف ولا داع لنبش القبور والأضرحة التي تنام فيك. اجلس هنا قبالتها وهنا بهذا الحضور الرائع لجسدها القوي المكين"¹

في هذا السياق يقصد الروائي بالأضرحة المكبوتات وما يوجد في صدر الشخصية من خيبة ومعارضة وآلام لا يستطيع الإفصاح عنها. يدل الضريح هنا عن حرب نفسية داخلية، جاء في سياق الكلام بشكل مجازي لجمالية التعبير والإفصاح عن الحالة المأساوية.

وفي سياق آخر تغير المعنى وتغيرت الدلالة ففي قوله: "تكوم على نفسه في الضريح طلبا للدفع لما تجمدت أصابع قدميه وشعر بالوهن في الركبتين وبالآلم في الفخذين من الحذاء العسكري الذي غدى ثقيلًا وبارداً مثل سلاسل الحديد"² هنا يقصد ضريح لالة ستي فقد كان يلجا إليها بنعمر ليترجها أن تدله على ليلي حبيبته التي فقدتها، حيث أنها لقيت حتفها فلما فقد الأمل ومن كثرة الوجع حزن أطرافه في الضريح وسكن. هذا يدل على الراحة والدفع كأن الضريح أم تحتضنه.

- لقد ورد في الرواية عدة أماكن "مسميات للأضرحة" نذكر منها ما يلي:

- **ضريح سيدي بومدين:**

شيد هذا الضريح بأمر من الأمير الناصر بن منصور الموحد بعد وفاة الفقيه أبا مدين شعيب في سنة 594 هـ بالقرب من قرية العباد.

¹ حسين علام ، رواية خطوة في الجسد، ص 38.

² -المصدر نفسه، ص 119.

" في ذلك اليوم سألتني باية عن موقع ضريح سيدي بومدين. قالت أنها تريد أن تزوره"¹

" بعدما اكتشفت أن في تلمسان بعض الأريج من بجاية ... لما صعدنا معا إلى سيدي أبي مدين أول مرة رحتم تسالين عن سر مجيئه ليموت هنا، فقلت لك أن الأمر تافه ... حكاية حكام يخافون على ملكهم"².

لقد وظف الروائي هذا الضريح ليفصح عن عقلية الناس المتمسكة بالاعتقادات والمتمركزة بالأضرحة والحضور الصوفي و المرابطي.

- ضريح سيدي سنوسي، وكذلك ضريح سيدي الحلوي في قوله:

" أنت يا بنتي منذورة لشيء عجيب رجال البلاد راهم راضيين عليك ... أنت بنت ناس"³

" هل تذكر يا يوسف ذلك اليوم الذي انحدرنا فيه لنزول سيدي الحلوي؟"⁴

"صحيح حدثني يومها عن سيدي الحلوي ذاك ... كيف انه تخلى عن القضاء في الأندلس وجاء لتلمسان ليعيش في تلمسان متخفيا بين الناس"⁵

- ضريح سيدي يعقوب:

هو سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني ويرجع أصله إلى الجد الأكبر سيدي يعقوب الشريف دفين جبل مغراوة بالظهرة مزونة.

¹ - حسين علام، خطوة في الجسد، ص 96.

² -المصدر نفسه، ص 140.

³ -المصدر نفسه، ص 261.

⁴ -المصدر نفسه، ص 253.

⁵ -المصدر نفسه، ص 253.

كذلك: سيدي أبي زكريا الزواوي:

" لكن باية كانت تردد تلك الأسماء الغربية ... حومة اللؤلؤة، ساحة النجمة وسيدي الصوفي وبما قوراية وابن محرز والغبريني وسيدي أبي زكريا الزواوي"¹

-هذه الأماكن لديها دلالة الاهتمام الصوفي والاعتقاد المترسخ في ذهنية الناس المتمثلة في التيمن بالأضرحة وأخذ البركة، كما تدل على البحث عن الحقيقة ولغز التراث المفقود (الكنز الضائع).

من خلال دراسة الدلالة الأماكن المغلقة في الرواية خطوة في الجسد نجد أنها لعبت دورا حيويا في تحريك الشخصيات الروائية، وبالرغم من ضيقها وانغلاقها إلا أنها منحتهم الألفة والأمن والدفء، كما تعد مرجعية للخلوة مع ذواتهم وفسح لهم المجال أمام التفكير السليم بمعنى أن الشخصيات الروائية كانت تجد الأمن والدفء وحتى الألفة داخل هذه الأماكن المغلقة حيث أصبحت ملجأ لها من الخوف والقتل وغير ذلك.

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 163.

المبحث الثاني: الأماكن المفتوحة.

على حد تعبير أوريدة عبود يعد "المكان المفتوح حيزا مكانيا خارجيا لا تحده حدودا ضيقة؛ يشكل فضاء رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق"¹

معنى أنه شكل مكاني رحب تحس فيه الشخصية الروائية بالطمأنينة والأنس والألفة كما تمثل الضجة والرعب وعدم الاستقرار وانفتاحها على حسب وضعها في الرواية. أما في الكتاب بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ نجد عدوى عدنان يعرف المكان المفتوح بقوله: "هو المكان العام الذي يمنح القدرة على الحركة والانتقال، ولكنه محدود بمحدود معينة تسمح للشخصية بالحركة فيه بحرية وانفتاح، ويمكننا أن نطلق عليه بالمكان العام، إذ تقوم الشخصية بفعل معين ضمن مكان عام له حدوده الثابتة."²

إن المكان المفتوح يفتح المجال أمام الشخصية ويخرجها من الضيق والظلمة والقيود، والعالم المكبل بالأفكار إلى الاتساع والحرية والنور مما يجعل الجمهور القارئ يعيش هو الآخر داخل الرواية ويتعرف على أحداثها ويتجول فيها.

من أهم الأماكن المفتوحة غي رواية خطوة في جسد:

- المدينة
- القرية
- الأحياء
- الشارع

¹-أوريدة عبود، المكان في القصة الجزائرية الثورية "دراسة بنيوية لنفوس نائرة"، ص 51.

²-عدنان مجّد عدي، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ "دراسة على ضوء منهج بروب وغريغاس"، عالم الكتب، الأردن، الطبعة الأولى، 2011م، ص

- المقهى
- الوطن
- الجبل
- البحر
- الصحراء

1- دلالة الأماكن المفتوحة:

أ. المدينة:

المدينة كمكان عام "تعتبر أحد الأشكال المتطورة من أشكال التجمعات الإنسانية، حيث تصوغ المدينة أساليب الحياة التي تتلاءم مع بنيتها العمرانية والاقتصادية والإيديولوجية وتناسب الطابع الاجتماعي الخاص بها، وقد بلغت الحياة في المدينة ذروة التعقيد، مما جعل أنماطها المعيشية تتغير من أجل أن تتماشى مع مكونات الحضارة المعاصرة، وأصبح على المكان التكيف والتوافق مع أوضاع وظروف المدينة"¹

إذ أنها في الرواية تمثل الفضاء المفتوح التي تدور فيه أحداث الرواية من جهة تمثل المكان الحقيقي الموجود على أرض الواقع ومن جهة أخرى تفتح لنا باب التخيل ضمن حدودها.

في الرواية التي بين أيدينا "خطوة في الجسد" تعددت الدلالات المكانية للمدينة. "أعرف الحكاية كاملة للمدينة القاتلة التي أسرتني وأهلكتني وعلقتني كخائن على أبوابها وتركتني أنتن ... يتفرج الرائحون والعادون على الموتى"²

" هذه المدينة ... آه منها ... لقد حرقت قلبي وحبست عنه الدماء ... وحكايتها هي الأخرى

¹سمية هادي، سوسولوجيا المدينة وأنماطها، التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 17، ديسمبر 2014م، ص 170.

²- حسين علام، خطوة في الجسد، ص 17.

حكاية وأنا من يعرفها فأنا وحده من يذوق عذابها عذاب البقاء فيها، مخلصا لها وشاهدا

على ما يجري"¹

تحمل المدينة في طياتها معاني الظلم والآلام والقسوة والاضطهاد، وحملت معنى الموت بكل ما يعنيه ... قد دلت على الضياع والحزن والأسى. حسب نفسية الشخصيات التي عانت الويلات في حضنها، فهي أضحت رغم اتساعها قبرا بالنسبة لها.

كما دلت على برودتها في الشتاء حين حكى يوسف عن أمه التي كانت تسعى إلى صنع البوابح لأولادها قائلا: "فهي تعرف أن هذه المدينة باردة. وتقول عنها: إنها الهالكة المهلكة"² وردت المدينة بشكل جلي في الرواية، فقد اعتمدها الروائي كمكان معلوم الحدود تدور بداخله الشخصيات الروائية وتسكن داخله، وعبر بلسانهم عما جرى فيها.

نأخذ قوله كذلك: " كما شاع بين الناس أيضا ذلك أن هذا القر الشديد حول رجلا متشردا في المدينة من دهور إلى شبح في الطرقات والدروب والحواري وعند المداخل السبعة للمدينة المحروسة"³ هنا يتحدث عن شخصية بوخطفة المشردة الذي كان يجول وحيدا في برودة المدينة فيلما ما يلمح الروائي؟، ما يقصده بهذه الشخصية؟ كأن الروائي يحمل المدينة المسؤولية لما جرى فهم عانوا الخوف والموت والبرد وقسوة الشتاء. وجاء موضحا هذا في قوله كذلك: "لما كانت الأضواء تضع من جسد المدينة هالة كبيرة من النور اليأس كان بنعمر يراها جرحا كبيرا لا يندمل. تنكؤه الحروب في كل مرة. ويتساءل: هذه المدينة كم حوصرت وكم عانت وكم هي لهذا فظيعة وفضة مع من يعيشها. إنها لا تعرف الحب ذئبة تتلذذ بدم جرائها"⁴ لقد حول الروائي المدينة إلى شيء حي ملموس يقوم بجرائم

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 17، 18.

² - المصدر نفسه، ص 31.

³ - المصدر نفسه، ص 107، 108.

⁴ - المصدر نفسه، ص 120، 121.

وبأعمال الشنيعة كأنها سفاح، فهذا يحمل المدينة ما يحمل مع الشخصيات. هنا يفصح عن علاقة الرابطة بين المكان والشخصية

لقد ذكر في الرواية "خطوة في جسد" مدينتين (تلمسان وبجاية) ... ماذا يقصد الروائي بهاتين المدينتين ...؟ إلى ما يلمح ...؟ وما علاقتهما ببعضهما ...؟

- مدينة تلمسان:

لؤلؤة المغرب العربي، تقع في الجزء الشمالي الغربي من الجزائر، تعد ثاني مدينة من حيث الأهمية على مستوى البلاد، لغناها بماضي مجيد، ويظهر فيها الأثر الأندلسي الممتد من العصور الإسلامية القديمة في البلاد.

لقد خصصها الروائي في روايته ليعبر عن تجربة إنسانية صادقة لاسيما ذلك، فهو ينتمي إلى هذه المدينة وعاش كل ما فيها ... فهو أراد البوح عن ما أصاب المجتمع الجزائري وخصص بذلك تلمسان لأنه جزء منها وأراد أن يجهز للقارئ الطريق، بمعنى أنه لا يوهمه بما حصل بل يجعله يصدق الحقيقة الواقعية فهو يتحدث عن تجربة حية.

لقد ورد هذا اللفظ في عدة مواضع مثلا قوله: "أنا ولد تلمسان وأقول لكم لا وجود لشخص اسمه يوسف ولا بنت اسمها باية إنهما مجرد كلام"¹

لقد دلت مدينة تلمسان على الانتماء لهذا المكان ... كما أن الروائي يؤكد على ما يجري وما يحاول الإفصاح عنه حدث أمام عينه وعاشه هو في حد ذاته ويظهر ذلك كذلك في قوله:

¹ - حسين علام، خطوة في الجسد، ص 9.

"وها هو رعب أهل تلمسان المحروسة يزيد أكثر عندما اكتشفوا ذات صباح بارد من أيام الشتاء الطويل لتلك السنة التي تشبه أية سنة أخرى..."¹

"في ذلك الزمان كان أهل تلمسان لا يزالون يخشون الاقتراب من موتاهم مثل كل الناس، لأن أي رجل بدت منه أي عاطفة نحو أي مقتول كان ذلك يعني أن دوره سيحين بعده"²

يقصد الروائي باكتشاف جثة امرأة مفصولة الرأس عن الجسد كانت تلك الشخصية باية. إنه يزبل الضباب عن الجرائم الشنيعة التي اقترفت في حق الجزائريين وخص بذلك مدينة تلمسان في تلك الفترة

المظلمة؛ أي العشرية السوداء.

"وقفت عند النافذة التي تطل على المدينة ونظرت إلى تلمسان من فوق، فسرى في جسدي هواؤها البارد مر على وجهي"³

إن هذا القول إن دل على شيء فإنما يدل على انتماء الراوي إلى تلمسان وتعلقه بها وحبها لها.

- بجاية:

لؤلؤة الجزائر، هي من مدن الجمهورية الجزائرية وكانت قديما عاصمة دولة الحماديين.

وجودها في الرواية كان لارتباطها التاريخي بتلمسان؛ "إذا كانت تلمسان كقطب جلب اهتمام البجائيين في مسعاهم العلمي.

¹-حسين علام، رواية خطوة في الجسد ، ص 12.

²-المصدر نفسه، ص 13.

³-المصدر نفسه، ص 147.

كما لعبت هذه العلاقة المميزة دوراً معتبراً في تأسيس وترسيخ التقاليد العلمية في القرون الوسطى بالمنطقة المغاربية ككل مما أطلق عليهما اسم التوأمين¹

لقد مثل الروائي العلاقة المتينة هذه من خلال شخصيتي يوسف وباية وجسدها في علاقة حب وتعلق فيما بينهما.

"بعدها اكتشفت أن في تلمسان بعض الأريج من بجاية...² كذلك: "صحيح ربما تكونان من أصول واحدة... البجاوية التلمساني في أصول واحدة... شوف... ربما تكون سلالتك هي التي هاجرت إلى بجاية وتركت هناك هذا النموذج الذي يشبهك أو يشبهه... ثم ها هو النموذج يعود إلى تلمسان ليبحث عن صورته"³

الروائي يزيل الإبهام عن اللغز الموجود بين تلمسان وبجاية. ويجيب عن التساؤل الذي يدور في ذهن القارئ حول علاقة يوسف "تلمسان" وباية "بجاية" ويحل المعادلة المزدوجة بين المكانين والشخصيتين في وقت واحد.

إن الروائي هنا يخاطب القارئ ويحبه عن تساؤله المتعلق ب: لماذا وظف الروائي بالضبط الشخصيتين يوسف وربطه بتلمسان وباية وربطها ببجاية...؟ لما ليس بمدن أخرى...؟ فحتماً هناك سر.

ب. القرية:

¹ - فريق الدراسات حول تاريخ الرياضيات في بجاية في القرون الوسطى، "جيهيماب GEHIMAB"، مطوية، association a but non

lucratif, fondée le :23 décembre 1991.

² - حسين علام، خطوة في الجسد، ص 140.

³ - المصدر نفسه ، ص 99.

تعد القرية في مفهومها العام، عبارة عن تجمع سكاني داخل مساحة جغرافية تضمن للسكان كل متطلبات الحياة، من الموارد الطبيعية، المناخ المناسب، وسائل العمل، وطرق النقل وغيرها.

أما في الرواية لها منحى آخر حيث تتسم بدلالات عدة يفك شفراتها القارئ بعقد ميثاق مع المؤلف أثناء عملية القراءة.

فالروائي ذكر لفظة القرية في الرواية "خطوة في الجسد" ليرسم معاناة الناس في فترة حرجة عرفوا فيها كل أنواع الظلم والقهر والتعسف. هو لم يأخذ تلمسان كمكان عام بل اتجه إلى كل اتجاه فيها، ذكر كل قرية فيها وحاول أن يحرك الشخصيات في كل أقطارها ليقنع القارئ بحقيقة ما يجري في الرواية فيصبح هو الأخير يجول في داخلها كأنه جزء منها.

نجد الروائي من خلال قوله: " أولهم حميدو الواسيني الممرض الذي أمضى عمره كله في المستوصفات خارج المدينة كان ينتقل من قرية إلى قرية في أحواز تلمسان"¹، قد ربط مصطلح القرية بمهنة الشخصية حميدو الواسيني الذي كان يعمل ممرضاً.

- من أهم القرى التي ذكرها الروائي في روايته قرية "العباد": هي قرية تاريخية من أحياء تلمسان، تقع على بعد 2 كلم في جنوب شرق تلمسان. كانت تتشكل هذه القرية من العباد الفوقي وهو العباد الآن، وسفلي اندمج مع توسع تلمسان؛ إذ يعد الآن عباد واحد فقط.

قد ذكرها الروائي في الرواية بعدة مواطن ودلالات رابطاً إياها بالشخصية ليفصح عن فحواها.

¹ - حسين علام، خطوة في الجسد، ص 19.

"يوسف ولد عمي المهدي الخراز ... يسكن في العباد الفوقاني، كان معلما بالمدرسة التحتانية في سيدي يعقوب ولد عائلة ... مربي خطيه هديك التهمة"¹

لقد وظف الروائي قرية العباد في طيات الرواية كمكان حقيقي معلوم الحدود ليضع المتلقي في الصورة المعبرة عن واقعية الأحداث.

وحين قال: "يدفعونك للجبل ... وها هو قريب ... مش بعيد ... على أمتار من العباد ... قريب جدا من المدينة"² في هذه الأثناء المؤلف يخاطب كل قارئ سواء يعرف قرية العباد أم لا يعرفها لأنه هنا يوضح له أبعادها. قال يدفعونك للجبل لم يترك المجال لتخمين الذهن فقال ها هو قريب ... مش بعيد على أمتار من العباد فقط. ثم قال قريب جدا من المدينة. يبدو الروائي أبرم حوار بينه وبين القارئ بشكل غير مباشر.

ج. - الأحياء:

قد ذكر الروائي الأحياء في روايته مجسدا إياها في بعض الأحياء المعروفة في مدينة تلمسان، تلك الأحياء التي عرفت معنى المعاناة والآلام بشتى الأنواع نفضح عن أهمها:

- الرياض:

هو منطقة في مدينة تلمسان، بعبارة أخرى هو تجمع سكاني ... قد ذكرها المؤلف كمكان إقامة فهو يعدد كل المناطق بالمدينة. "قالوا أيضا إن الناس، من "رياض الحمار" أين تسكن مع أخيها موسى بن بوستة إلى باستور كانوا كلما لاح لهم ذلك مع الشعر المغناج يسكنون ويبهتون"³

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص9.

² - المصدر نفسه، ص 10.

³ - المصدر نفسه، ص 10.

يدل المكان هنا على إقامة الشخصية باية وأخيها وتمثلت دلالاته في كونه شاهداً على حدث إقامتها. فمن العادة أن أهل الأحياء تشيع عندهم الأخبار ويتطلعون عليها سواء كانت حقيقية أو مجرد أكذوبة، فالروائي كان لابد أن يشير لهذه النقطة فهو بصدد التعبير عن حياة اجتماعية لمنطقة واقعية.

- بودغن:

يعد حي شعبي في مدينة تلمسان، يتميز بناؤه الفوضوي وتجمعه السكاني كان له دلالة عميقة في الرواية لم يصرح بها الروائي بشكل مباشر؛ إذ يعد بودغن ذلك الحي البسيط نقطة بداية للنشاطات الإرهابية فأول خلية للحركة الإرهابية بتلمسان كانت في مطلع 1992م انبثقت في الأحياء وكان بودغن أول نواة لها وبدأت تستهدف الأحياء الأخرى بالتدريج.

بما أن الروائي ييوح بما جرى في مدينة تلمسان آنذاك فلا بد من الإشارة إلى بودغن كمكان عاشت فيه الشخصيات في رعب شديد وحالة نفسية مضطهدة، يمثل الروائي الحالة في تصريحه من خلال الرواية: "فيبدوون أولاً بدفع ثمن قهوتك عنك في كل مكان جلست إليه ... في بودغن أو في القلعة ... في قباصة وحتى في وسط البلد. ولما تلتفت حولك للتساؤل عن المتكرم برفع غبن ثمنها عنك فإنك لن تجده فتسال النادل ليقول لك انه كان هنا وخرج منذ قليل ... تتكرر عملية هذه اللعبة معك أيام وأيام ... تدوم المطاردة منذ أسابيع وأسابيع وعندما يتخللك الخوف جيداً ... عندما تتخلل للموت، تجد تحت باب بيتك رسالة تهديد مباشر لك بالقتل ومعها دعوة لكي تحضر نفسك في المرة القادمة ... ثم بعد ذلك تجد عند عتبك، ذلك الصباح من صباحات الله الكثيرة كفنا وقارورة من العطر الرخيص ...

ثم ...

ذبحوا فلان ... الله يرحمه....¹

ويقول كذلك: " من يسكن بودغن هذه الأيام عليه أن يكون رجلا بالسيف على أمه وإلا قتله الأوغاد"²

د. الشارع:

يعد الشارع من أماكن الانتقال العمومية وتشهد حركة الشخصيات عندما تغادر مكان الإقامة؛ إذ يعتبر الشارع من أهم الأماكن التي يبنى الروائي عليها عمله، فلا يمكن لأي روائي التخلي عن هذا المكان فهو الذي يشهد على كل حركة تصدر من الشخصيات إذ يشكل خشبة مسرح تقدم عليه عرضها.

"وقد احتل الشارع في الرواية العربية من قبل الروائيين الذين كتبوا عن المدن العربية مكانا بارزا في الرواية العربية، وكانت له جمالياته المختلفة باعتباره مسارا وشريانا للمدينة، وفي الوقت نفسه، المصب الذي يصب فيه الليل والنهار أشغالهما وتجلياتها فهو المسار والمصب في آن واحد"³، ذلك لأهميته الكبيرة في حياة الإنسان والعمل الروائي.

لقد وجدنا صدى الشارع داخل الرواية، ينبض في كل اتجاه، بحيث أن الروائي وظفه بشكل جلي.

"وهو يجلس عند عتبة باب بيتهم كلما تعتبه الشراب ويلتقط عودا من الشارع وينخرط في تحفيظ أطفال يتوهمهم بين يديه...."⁴

¹ - حسين علام، خطوة في الجسد، ص 14، 15.

² - المصدر نفسه، ص 87.

³ - شاكر النابلسي، "جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1994م، ص 65.

⁴ - حسين علام، خطوة في الجسد، ص 21.

الشارع مكان انتقال ملموس بالنسبة للإنسان لا يمكن أن ينفصل عنه، فهو بذلك تبنى عليه الشخصية وتتحرك وتلمع فيه، إذ لا بد أن يشير الروائي إلى الشوارع فالشخصية هي حينما تخرج من البيت أو المشفى أو البيت أو العمل فهي مما لا شك فيه ترتطم بالشارع.

نجد في الصفحة (41) من الرواية يقدم لنا صورة وصفية حركية، يصف الثلج وهو يعبئ شوارع المدينة. انطلاقاً من قوله: " كانت ندف الثلج في الشارع منذ الفجر، فقد غمر المدينة ضباب رصاصي منذ ساعاته الأولى وسكنت كل الأصوات".¹

في قول آخر نجده يسجد معاناة الوطن؛ إذ يشير إلى قلة النساء في الشوارع المدينة، بحكم أن الشارع مكاناً مفتوحاً.

"لاحظت أن النساء هنا نادرات... قليلاً في الشوارع... هذه المدينة أم لا؟ أم أني مخطئة.

- قليلاً صحيح في الشوارع... لكنهن كثيرات في القيسارية..."²

هـ. المقهى:

يعد محلاً به أماكن مجهزة بالطاولات والمقاعد، يهب لها الناس للاستراحة والحديث، تقدم مشروبات معينة مثل: القهوة، الشاي، العصائر...

قد دخل هذا المكان في عادات البشر وتقاليدهم، حتى أنه أصبح عند الكثير واجباً يومياً لا غنى عنه.

هذا الأخير التصق بالروايات أيضاً ولم يزاو لها لأنه مكاناً مهماً بالنسبة للشخصيات، حيث تدور فيه الأحداث، كما لا يمكن التخلي عنه لأنه جزئية هامة في حياة الإنسان.

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 41.

² - المصدر نفسه، ص 42.

فالمقهى ظهر في الرواية كمكان تذهب إليه الشخصيات الرجالية ويتبادلون الأحاديث، فجعله الروائي مكان شاعت فيه قصة الشخصيتين يوسف وباية، بقوله: "يتداولها الناس في المقاهي والمحطات والمساجد والساحات... في الدروب وعلى الأرصفة، حتى أن السكارى يتداولونها في خلواتهم."¹

تتمثل وظيفة المقهى داخل الرواية كذلك كونها مكانا يلجأ إليها الرجال ليجدوا متنفسا ومكانا يجلسون فيه للترفيه.

"يرتادون الشوارع والمقاهي ودور السينما الجديدة يشاهدون الأفلام البريئة جدا وسيأخذهم القدر

والكدر إلى المساجد غير الحكومية أو إلى الشكنات الحكومية ولن يعرفوا الفرق أبداً بين الشيء ونقيضه"²

فهو هنا يحرك الشخصيات وفق أحداث روتينية ليحسد خاصية المقهى التي تعد متنفسا للشخصية في خضم الخراب الذي حل بالوطن

قال كذلك: "لم أشأ أن أمر أيضا على مقهى باب وهران، لا أريد الجلوس فيه فبنعم التزم بيته منذ مقتل ليلي وصار لا يخرج منه"³

فالمقهى هنا لديه مكانة خاصة في نفسيات الشخصيات لاسيما شخصية يوسف وبنعمر. هنا خص مقهى باب وهران لترددتها عليها؛ إذ تعد هذه الأخيرة موطن لهما ومكان ذكرياتهما.

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 11.

² - المصدر نفسه، ص 128.

³ - المصدر نفسه، ص 130.

إذاً المقهى لها مكانتها خاصة في الرواية، بحكم وجودها وحكم وجود دلائلها التي تتشعب حسب الشخصيات الروائية من جهة وثقافة القارئ من جهة أخرى.

و. الوطن:

هو من يحتضنك من بداية حياتك، هو الروح الأخرى التي تعيش بداخلك. الوطن شيء وجداني يميل إلى العاطفة أكثر من العقلانية.

يعد الوطن قطعة من الروح وجزء من الأرض خلق فيها الإنسان تشبك بانتماؤه وعواطفه، مكان راحته وطمأنينته. يربط بين أصالة وجوده، فمهما ابتعد ليحس بالراحة في مكان غيره فلسوف لن يراها، تبقى روحه ضائعة ضالة تبحث عن مكان خلقت له وخلق لها. هذا هو الوطن بالنسبة للإنسان.

حب الوطن متأصل في كل روح إنسانية، تجاهد ليبقى الوطن في سلامة وأمان. يذكر الروائي مشهد في الرواية لتعلق الأطفال بالوطن مشيداً بقوله: "كنت اشهد أن التلاميذ عندما يكونون صغاراً جداً لا يملون في رسم الأعلام على الكرايس وهم يخشون من كل قلوبهم أن لا يندلق عليها الخبر وأن لا تمسها الممحاة وتتوقف الأقلام عن لوئها الأحمر والأخضر.

كانوا يخشون أن تتوقف تلاوين الوطن في أيديهم. هذا الذي لن يجده سوى في المحابر عندما يكبرون قليلاً"¹

يوضح الروائي كذلك في جزئية أخرى أن هم الوطن أكل دواخل الشخصيات وأتبعهم وأرهق نفسياتهم. بدا ذلك في قوله: "ما الذي يجري يا صديقي قلت في نفسي... قد أخرستك الصدمة. أخرستك الوطن وأخذ منك لسانك. أنت أيضاً. لست وحدك...ها أنا معك...أعلم ما

¹ -حسين علام، خطوة في الجسد، ص 127.

يجري فلا تتركني أنت أيضا هكذا في الريح. تحت مطر الوحدة وثلج الخوف.¹ ويضيف قائلاً:
"أخذت نفساً آخر طويلاً ثم أضفت:

- وأن تضيق في الأرض بدون جدوى فهذا ما يريده الذين أكلوا البلاد من القلب"²

ألم ضياع الوطن من أصعب الآلام، فحمى الوطن في حمى النفس، فالوطن مثل الأم التي تحتضن صغارها؛ إن غابت ضاعوا الصغار، هكذا إن تأذى الوطن فلا بد للنفوس أن تتأذى وتسبح في نهر الضياع.

ز. الجبل:

يعرف الجبل بكونه كتلة صخرية بارزة فوق اليابسة بشكل واضح، إذ قلنا الجبل فنحن نشيد بعلوه وعوالمه، أسراره، حيث ينطوي على الكثير من الهيبة والعظمة والمكانة.
الجبل يدل على الشموخ والرفعة والمكانة السامية، لكنه في الرواية يدل على مكان إقامة حيث تتواجد

في مغاراته قوات حركية تسمى الإرهاب، لغتهم هي لغة الموت، نجد صدى هذا المكان في كلام الروائي من خلال روايته "خطوة في الجسد":

" ربما أطلع للجبل ... أصبح الطلوع ساهل هذه الأيام... الكل يستطيع أن يطلع... راهم يرحبوا بينهم... يستغلوا الفرصة... لأن عندما يجيوك للدار ويقلبوها سافيتها على عافيتها... يخربولك

¹-حسين علام ، رواية خطوة في الجسد ، ص 128.

²-المصدر نفسه، ص 148.

أمك وأختك وأنت تشوف... يدفعونك للجبل وها هو قريب... مش بعيد... على أمتار من العباد فقط... قريب جداً من المدينة"¹

الجبل أصبح مكاناً إجبارياً، خانقاً للحرية، منعدم الأمان. أصبح الوسيلة الوحيدة لحماية أهلك ونفسك من الموت بالرغم من التخلي عن روحك ومبادئك بالرغم من تحوُّلك إلى قاتل ميت المشاعر.

قد تخلى الجبل في الرواية عن وظيفته الأساس وجماليته وعظمته وتحوّل إلى مكان مرعب، تفوح منه رائحة الموت، تسكنه أرواح لا تعرف الرحمة، تحمل قلوب متعطشة للدماء.

ح. البحر:

يعبر البحر عن الحياة العامة بصراعاتها وتجاذباتها، قد وظفه الروائي كإشارة تاريخية. حيث أن الشخصية تبدو تحترق على الوطن وستحضر معاناة الأجداد.

حيث يصرح قائلاً: "أتذكر هؤلاء الحيارى الذين شردوا وأبيدوا عند سواحل الإخوة وقد اختلطت دمائهم بمياه البحر... البحر مالح أيتها الأمية والدم مالح والوطن راح... ضاع... ولا أحد عند السواحل سوى النبال والرماح"²

إن الكاتب يصرح بمعاناة اللاجئين والمهاجرين الذين ضاعوا في سواحل البحر وماتوا، تجردوا من هويتهم وتشرّدوا بسبب قطاع الطرق... البحر هنا له دلالة قاسية فملوحته زادت الألم في الجروح.

كما اعتمد الروائي البحر ليستحضر سقوط غرناطة وربطها بتلمسان؛ إذ كانت الأندلس تضم جل أعلام تلمسان، إنه يجسد معاناة تلمسان متهكماً ومتألماً كأنه يقول لا زال جرح الماضي لم

¹ -حسين علام خطوة في الجسد، ص 10.

² -المصدر نفسه، ص 43.

يشقى ويشهد البحر على الموت لأنه من احتضنهم والآن الألم من جديد والمعاناة من جديد والوطن ينزف من جديد.

"ها هم في الشعاب هائمون... جثثهم في الريح مرمية، لا يزال ملح البحر في عرفها ولا تزال عيونهم زرق من النظر إلى السماء البعيدة... يحملون شمس غرناطة في الأوصص وشوقهم لا يزال مفتولا بالمجبود وفي الأغنيات وأواني أبي النحاس والقفطانات و الزرابي والبلاغي وعرائس العنب..."¹

إن الروائي يبدو متعطشا للتاريخ، متمنيا عودة البطولات، مشيدا بالارتباط الوثيق بين الأندلس وتلمسان التي تعد الموروث الأكبر منها وتشابههما في اللباس والأواني والعادات والتقاليد والموسيقى الأندلسية التي تعد أعلى الموارث التلمسانية.

ط. الصحراء:

تعد الصحراء ملحمة، لكونها أثبت وجودها في الساحة الأدبية من خلال تواردها في عدة روايات لأهميتها في الحياة الإنسانية وارتباطه بها.

فبالرغم من أنها أرض قاسية بمناخها، قاحلة بطبيعتها، فقيرة بإنتاجها الزراعي، فإنه ينظر إليها اليوم كجزء لا يتجزأ من عالمنا الأرضي بل هي تضم أجزاء مهمة من العالم. فإذا قلنا فقيرة في الإنتاج الزراعي والمادي، فإنها غنية بثرواتها الثقافية وإنتاجها الرمزي... تعد فضاء واسع للتفكير والتأمل وإنها منذ الأزل موطن الإلهام والإبداع.

في الرواية "خطوة في الجسد" ضمها الروائي كمكان ترتاح فيه الشخصية الرئيسية يوسف من المعاناة التي عاشها في مدينة "تلمسان" وليبراً من جروح النفسية التي باتت تنزف بشدة.

¹ -حسين علام، خطوة في الجسد، ص44.

"تريد الصحراء منك دمك، ليسيل عليها ويبقى بل سرعان ما تشربه ليغور... ليذهب ويزول ويمحى فلا موت ولا حياة، لأنه ليس فيها ما يعلن نفسه سيداً سوى الامتداد"¹

"لا تتصور يا صديقي أن خروجي للصحراء أو الدخول فيها-سم ذلك كما تشاء- كان هروبا لا لا... إنه لم يكن سوى تداو... أو أقل شكلا من أشكال الاندمال والبرد... أنا لا أستطيع أن أصفه لك الآن بدقة لكن يجب أن تجرب ذلك بنفسك"². كانت الصحراء تجربة حياتية مساعدة على الراحة والنسيان باحوائها الواسعة والمتحررة، إذ أنها خالية من المشاعر الضيق والخوف. فهي أخرجت الشخصيات من الضيق و المعاناة إلى المفتوح بحكم الامتداد الواسع.

"كانت الصحراء في البدء وستكون الصحراء في الأخير. الصحراء باعتبارها امتداداً وباعتبارها الرغبة والدهشة: أنا لا أقصد الرمل والخيام والعشائر والقبائل... هذه أشياء صحراء. بل أقصد شيئا آخر يجب أن نجربه في أجسادنا حتى نعرفه."³

- إن الأماكن المفتوحة في رواية خطوة في الجسد في الأغلب رغم انفتاحها إلا أنها جسدت الضيق والخوف والمعاناة الشخصيات كانت لهم بالمرصاد بحيث ذهب الأمن والاستقرار. وقد حركت التاريخ و الاستدكار والاسترجاع من ناحية أخرى.

¹ - حسين علام، رواية خطوة في الجسد، ص 194.

² - المصدر نفسه، ص 199.

³ - المصدر نفسه، ص 200.

- إن من خلال دراستنا للأماكن المغلقة والمفتوحة داخل المتن الروائي لرواية "خطوة في الجسد"، إبداع الروائي والقاص الجزائري حسين علام، قد تبين لنا أن للأماكن حضوراً قوياً سواء من حيث انغلاقه أو انفتاحه، فقد مثل دوراً رفيعاً في تحريك الشخصيات وإبراز دورها داخل القصة الحكائية.

الأماكن المغلقة التي تجسدت في: بيت، الغرفة، الحمام، المسجد، مدرسة... وغيرها. قد شكلت الحزن الدافئ لدى الشخصيات الروائية منحتمهم الأمن والأمان والاستقرار النفسي والمادي، كما اعتبرت في نظرهم الملاذ الآمن رغم ضيقها وانغلاقها. فهي أبعدتهم عن صخب ما يحدث خارجاً وحمتمهم من الموت وأنواع الظلم والاضطهاد فالرواية بصدد الحديث عن فترة الإرهاب والقتل بمعنى أن الأماكن المغلقة تمثل مركز الحماية بالنسبة للشخصية داخل القصة الروائية. كما أن للمكان المغلق خاصية أخرى فحيثما يكون الظلام والسكون تترتب الأفكار وتوحي بالحلول.

أما الأماكن المفتوحة كانت قاسية بالنسبة للشخصيات برغم انفتاحها وشساعتها وحكم موضعها المساعد على الراحة. إلا أنها مثلت الرعب والخوف والاستقرار والأمان وتحمل في طياتها معاني الموت والظلم وتحمل آهات الألم، فالخارج يجسد لدى الشخصية صورة القتل والتعطش للدماء ويجرمهم من الراحة النفسية لم تكن الأماكن المفتوحة (المدينة، الشارع، المقهى...) الملاذ الآمن لدى الشخصية بل كانت لها المرصاد مثلما جسدت الخوف والأمان جسدت كذلك نقطة للاستذكار والاسترجاع الخيبات والذكريات المؤلمة مثل ما رأينا أن البحر حمل في موجاته صورة الجثث في زمن سقوط غرناطة تلك الصورة التاريخية النابضة بالألم.

خاتمة

لعل من أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة، ذكر ما يلي:

1-توظيف الأماكن في رواية خطوة في الجسد لم يكن محض صدفة، ولا انطباع جغرافي تحده حدود ومسافة معينة، بل كان لحاجة الروائي في إبراز دلالات عميقة للمكان في نفسية الشخصيات باعتباره ذا مكانة عالية في الرواية.

2-تحمل رواية خطوة في الجسد سمة المكانية بالدرجة الأولى، فهي تنبض بروح المكان؛ إذ لمحت في كل سطر منها إشارة إلى مكان سواء مفتوحاً مثل:

المدينة "بجاية، تلمسان"، القرية، الأحياء الشعبية "بودغن، الرياض"، الصحراء...أو مغلقة، (البيت، الغرفة، المسجد، المقهى...)، بحيث كانت هذه الأماكن مثخنة بالإشارات الدلالية.

3-الأماكن المغلقة داخل المتن الروائي كان لها حضوراً مميزاً بمدلولاتها النفسية، حيث عبرت عن الأمن والاستقرار والطمأنينة، كما دلت على مكان الحماية والحرية الشخصية، إذ أن الشخصية كانت تجد متنفسها في الأماكن المغلقة لتحرص نفسها من القتل بما أن الأحداث تسير في فترة التسعينيات التي طغى عليها الإرهاب. كما تتزامن دلالة المكان المغلق مع الاكتشاف لدواخل النفس والمشاعر التي تتخللها.

4-يفسح المكان المغلق المجال للشخصية للتفكير الحق ويسمح لها بالاستدكار والاسترجاع، لأن الظلام والسكون المجودان في الأماكن المغلقة يساعد على ذلك

5-الأماكن المفتوحة في رواية خطوة في الجسد تخلت عن خاصيتها المرتبطة بمنح الحرية ورحابة الصدر والانفتاح على العالم الخارجي مما يمنح الراحة النفسية وحب الاطلاع لدى الشخصية وانحصرت في تصوير المعاناة وتجسيد معاني الخوف والترهيب والظلم والتعسف وسلب الحقوق، وقد اقتصرت دلالتها على القتل وحرمان، فرغم انفتاحها واتساعها كانت قبراً بالنسبة للشخصية.

6- أخيراً يمكن الإشادة بأن دور المكان في رواية تتحدث عن سنين تواجد الإرهاب في الجزائر، قد تجلى في طابع مأساوي يغلب عليه الخوف والرعب، وتبلور من خلال اللأمن والاستقرار. تلکم جل ما يمكن حصاده من نتائج البحث على مدار فصوله المتقدمة وبالله التوفيق.



قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. المصادر:

1-حسين علام، خطوة في الجسد، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2006م.

2. المعاجم:

2-إبراهيم مصطفى، معجم الوسيط، مادة كون، دار العودة، تركيا، (د.ط)، 1989م.

3-أبو عبد الرحمان الخليل الفراهيدي، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مادة مكن، دار الرشيد للنشر، بغداد، الجزء الخامس، (د.ط)، 1982م.

4-أبو بكر مُجَّد بن الحسن بن دريد الأزدي، معجم جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلوم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.

5-أبي الفضل جمال الدين مُجَّد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة مكن، دار الصادر للنشر، بيروت، لبنان، الجزء الثالث عشر، الطبعة الأولى، 1990م.

6-إسماعيل بن عباد الصاحب، المحيط في اللغة، تحقيق مُجَّد حسن آل ياسين مادة مكن، عالم الكتب، الجزء السادس، الطبعة الأولى، 1994م.

7-جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، الفرنسية، والانجليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الدار الكتاب المصري، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

8-مُجَّد بني أبي بكر بن عبد القادر الرازي، معجم مختار الصحاح، مادة كيت باب الكاف، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، (د.ط)، 1986م.

9- مُجَّد مرتضى الحسين الزبيدي، معجم تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، ، مراجعة عبد الباقي ضاحي وخالد عبد الكريم جمعة، مادة مكن، التراث العربي سلسلة يصورها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، الجزء السادس والثلاثون، الطبعة الأولى، 2001م.

3. المراجع:

10- أحمد إبراهيم الفقيه، الرواية العربية في نهاية القرن، رؤى ومسارات (رواية الواقع والخيال)، دار المنهل للنشر والتوزيع، المغرب، (د.ط)، 2006م.

11- أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2012م.

12- أحمد عوين، أبعاد المكان الفنية في عصفير النيل لإبراهيم أصلان، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2004م.

13- إسماعيل مُجَّد السيد، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2010م.

14- أوريدة عبود، المكان في القصة الجزائرية الثورية، (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله ركيبي)، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

15- بدرى عثمان، بناء الشخصية الرئيسية في الرواية نجيب محفوظ، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.

16- تحسين كرمياني، رواية زفتموت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، (د.ط)، 2003م.

- 17- جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة العربية)، مكتبة المثقف، الطبعة الأولى، 2015م.
- 18- حبيلة شريف، بنية الخطاب الروائي "دراسة في روايات نجيب كيلايني"، عالم الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، 2010م.
- 19- حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.
- 20- حسين فهد، المكان في الرواية البحرينية، دراسة في ثلاثة روايات (الجدوة، حصار، أغنية الماء والنار)، دار فراديس لنشر والتوزيع، البحرين، الطبعة الأولى، 2003م.
- 21- حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، مراجعة وتقديم عبد الأمير الأعمش، دار الشؤون الثقافية بغداد، الطبعة الأولى، 1987م.
- 22- حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات مركز أوجاريت الثقافي، الطبعة الأولى، 2007م.
- 23- حميد حمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.
- 24- خالد بن سليمان بن سالم الخروصي، الطبوغرافيا وتطور علم الخرائط "قراءة الخرائط والملاحظة الأرضية، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، البسطا، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006م.
- 25- سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 1984م.
- 26- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1994م.

- 27- صبيحة عدوة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2006م.
- 28- صالح صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م.
- 29- ذكريات مدحت كمنجي، جماليات المكان في الرواية النسوية الأردنية، درا الثقافة، الأردن، (د.ط)، 2001م.
- 30- عبد الحميد بورايو، منطق السرد، (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 1994م.
- 31- عبد الحميد محاميد، جدلية المكان والزمان في الرواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- 32- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، 2000م.
- 33- عبد المالك مرتاض، البنية السردية في الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1998م.
- 34- عبد المنعم زكريا بالقاضي، البنية السردية في الرواية، عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الكويت، الطبعة الأولى، 2009م.
- 35- عدنان محمد عدي، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ (دراسة على ضوء منهجي بروب وغريماس)، علم الكتب الحديثة، الأردن، الطبعة الأولى، 2011م.
- 36- غالب هلسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن هانئ، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1998م.

- 37- فتحي بوخالفة، شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم كتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 2010م.
- 38- فضل صلاح، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م.
- 39- قادة عقاق، دلالة المدنية في الخطاب الشعري العربي المعاصر، (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، منشورات اتحاد العرب، دمشق، (د.ط)، 2001م.
- 40- مُجّد صالح الشنطي، المكان في الرواية السعودية (التوظيف والدلالة) رواية الموت يمر من هنا، لعبده الخال أنعوزجا، أبحاث اليرموك، (سلسلة الآداب واللغات)، الأردن، (د.ط)، 2003م.
- 41- ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، 1986م.
- 42- يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد العرب، دمشق، (د.ط)، 1999م.

4. الكتب المترجمة:

- 43- أرسطو طاليس، الطبيعة، تحقيق عبد الرحمان بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1961م.
- 44- برادلي فرانسيس هيربرت، مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة، ترجمة توفيق الضوى، نشأة المعارف الإسكندرية، (د.ط)، 2003م.
- 45- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الثانية، 1984م.

46- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الثالثة، 1987م.

47- مشال فوكو، المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة علي مقلد مركز الاتحاد القومي، بيروت، (د.ط)، 1990م.

48- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، تقديم وترجمة سيزا قاسم، (جمالية المكان مجموعة من الباحثين)، عيون المقالات، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2001م.

5. المجالات والرسائل الجامعية:

49- خليفة قرطي، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1995م.

50- سمية هادفي، سوسيولوجيا المدينة وأمطاطها، التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 17، ديسمبر 2014م.

51- كتيبة ريبب، جماليات الزمان والمكان في شعر عز دين المناصرة ديوان السقف السماء، أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، مناقشة سعيدي محمد، 2011م/2012م.

6. مواقع الإنترنت:

52- اعتدال عثمان، جماليات المكان، مقالة ضمن موقع الصحافة على شبكة الإنترنت الرابط:

[http :www.alschafasd.net/detail.php ?anticknd=60928](http://www.alschafasd.net/detail.php?anticknd=60928)

53- حسين علام، السيرة الذاتية، عبر مراسلة على بريده الإلكتروني الخاص به .



فهرس الموضوعات

الإهداء	
شكر وعرافان	
مقدمة..... أ-ج	
الفصل الأول: ماهية المكان اللغوي من بعده الاصطلاحي إلى حضوره الروائي "أنواعه وأبعاده"	2
المبحث الأول: مصطلح المكان	2
1-المكان في اللغة:	2
2-المكان في الاصطلاح:	4
المبحث الثاني: المكان الروائي، "أنواعه وأبعاده"	7
1-المكان في الرواية:	7
2-أنواع المكان الروائي:	8
3-أبعاد المكان الروائي:	12
أ. البعد الجغرافي:	13
ب. البعد النفسي:	15
ج. البعد الإيديولوجي:	16
د. البعد الواقعي، الموضوعي:	17
هـ. البعد التاريخي:	18
و. البعد الهندسي:	19
الفصل الثاني: حسين علام وروايته "خطوة في الجسد"	20
المبحث الأول: ترجمة حياة الروائي حسين علام	21
الروائي حسين علام:	21
المبحث الثاني: لمحة عامة عن رواية "خطوة في الجسد":	29

- 1-عنوان الرواية: "خطوة في الجسد"..... 29
- 2-ملخص الرواية: "خطوة في الجسد"..... 30
- 3-الشخصيات الرئيسية والثانوية في رواية خطوة في الجسد : 32
- أ.الشخصيات الرئيسية:..... 32
- شخصية يوسف:..... 32
- شخصية بابة:..... 34
- شخصية بنعمر:..... 35
- ب.الشخصيات الثانوية:..... 36
- شخصية المهدي الحراز "الأب":..... 36
- شخصية الأم:..... 37
- الشخصية يحيى:..... 37
- شخصية الخالة زهرة:..... 38
- شخصية حسان الداودي:..... 39
- شخصية الجيلالي الرونكو:..... 39
- شخصية حميدو الواسيني:..... 40
- الفصل الثالث: 41
- دلالة المكان في رواية "خطوة في الجسد" لحسين علام..... 41
- المبحث الأول: "الأماكن المغلقة"..... 43
- 1-دلالة الأماكن المغلقة:..... 44
- أ.الحمام:..... 44
- ب.الكوميسارية:..... 45

- ج. الدار المنزل، البيت: 47
- د. المسجد: 49
- هـ. الحانوت: 51
- و. الغرفة: 52
- ز. السجن: 53
- ح. المدرسة: 54
- ط. الفرن: 55
- ي. المستشفى والمستوصف: 56
- ك. الأضرحة: 56
- المبحث الثاني: الأماكن المفتوحة. 60
- 1- دلالة الأماكن المفتوحة: 61
- أ. المدينة: 61
- مدينة تلمسان: 63
- بجاية: 64
- ب. القرية: 65
- ج. الأحياء: 67
- الرياض: 67
- بودغن: 68
- د. الشارع: 69
- هـ. المقهى: 70

72:الوطن: و.

73:الجبيل: ز.

74:البحر: ح.

75:الصحراء: ط.

78 خاتمة

81 قائمة المصادر والمراجع

90 فهرس الموضوعات

المُلخَص:

يُعَدُّ المَكَانُ فِي البِنَاءِ السَّرْدِيِّ وَصْفًا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الإِطَارِ الجُغْرَافِيِّ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الحَوَادِثُ، بَلْ تَتَعَدَّاهُ إِلَى إِعْطَاءِ تَفْسِيرٍ لِلنَّصِ الرِّوَائِيِّ وَيُسَاعِدُ عَلَى الفَهِمِ، وَاخْتِيَارِ الرِّوَائِيِّ لِلأَمَاكِينِ. مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَرْمِي إِلَيْهِ الرِّوَائِيِّ وَيَسْعَى إِلَى تَوْصِيلِهِ لِلْمُتَلَقِّي. هَذَا مَا مَسَّتُهُ الدِّرَاسَةُ لِدَلَالَةِ المَكَانِ فِي رِوَايَةِ حُطُوتِهِ فِي الجَسَدِ لِلْمُبْدِعِ حُسَيْنِ عَلامٍ مِنْ حَيْثُ رَصَدِ الأَمَكِينَةِ المَوْجُودَةِ وَاسْتِكْنَاهِ دَلَالَتِهَا مِنْ خِلالِ الأَمَاكِينِ المَفْتُوحَةِ وَالمُعْلَقَةِ.

الكَلِمَاتُ المَفْتُوحَةُ: البِنَاءِ السَّرْدِيِّ، المَكَانِ، الأَمَاكِينِ المُعْلَقَةِ، الأَمَاكِينِ المَفْتُوحَةِ.

Résume :

La place dans la construction narrative est une description non seulement du cadre géographique dans lequel les accidents se produisent, mais aussi d'une explication du texte narratif et aide à la compréhension et au choix du romancier des lieux. Ce qui aide à savoir ce que le romancier veut connecter au destinataire. C'est ce que l'étude a considéré comme indiquant la place dans l'histoire d'une étape dans le corps du créateur Hussein Allam en termes de surveillance des lieux existants et d'en tirer leur signification à travers les lieux ouverts et fermés.

Mots-clés : lieu, construction narrative , intérieur, espaces ouverts.

Summary :

The place in narrative construction is a description not only of the geographic framework in which the incidents occur, but also of an explanation of the narrative text and helps in understanding , and the selection if the novelist of the places. Which helps to know what the novelist aims to connect to the recipient. This is what the study considered to indicate the place in the story of a step in the body of the creator Hussein Allam in terms of monitoring the existing places and derive their significance through open and closed places.

Keywords : place, narrative construction, indoor, open spaces.